

مسجد من القرن السادس عشر

فيونا مكدونالد

مارك برجين

في مختلف أرجاء العالم،
ثمة مساجد عظيمة
تقف شامخة في
قلب كثير
من المدن
والقرى،
وهذه قصة
المسجد الذي
شيده المعماري
سنان باشا بأمر
من السلطان
سليمان الكبير.





مسجد

من القرن السادس عشر



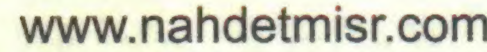
فلتدخل إلى مسجد من القرن السادس عشر ولتكتشف بنفسك عجائب العمارة الإسلامية. تعرف على مكونات المسجد واكتشف كيف تشيد القباب والمآذن. شاهد عمال البناء أثناء عملهم في نحت النقوش وعمل الزخارف النفيسة.

صدر من هذه السلسلة:

١- مسجد من القرن السادس عشر.
٢- المقبرة المصرية القديمة.
٣- الحصن الروماني القديم.
٤- المعبد اليوناني القديم.







www.nahdetmisr.com



مسجد

من القرن السادس عشر



تأليف:

فيونا مكدونالد

رسوم:

مارك برجين



نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع



المحتويات

السلسلة: روائع العمارة القديمة
العنوان: مسجد من القرن السادس عشر
تأليف: فيونا مكدونالد
رسوم: مارك برجين
ترجمة: إدارة نشر وترجمة كتب الأطفال بنهضة مصر
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

Original English title: Spectacular Visual Guides: A16th Century Mosque.

Published by Nahdet Misr for Printing, Publishing & Distribution
upon arrangement with The Salariya Book Company Ltd. of Book House,
25 Marlborough Place, Brighton, East Sussex BN1 1UB, England.

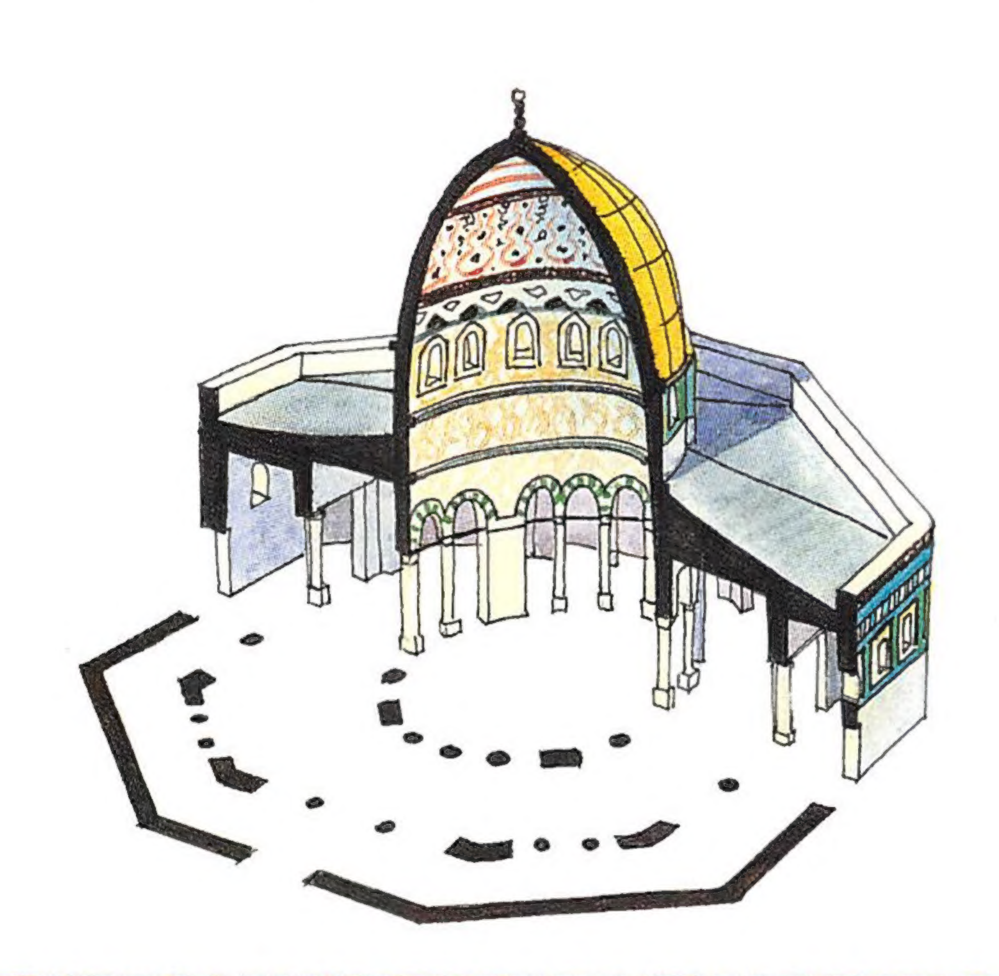
ترجمة كتاب Spectacular Visual Guides: A16th Century Mosque
تصدرها شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
بترخيص من The Salariya Book Company Limited

الترقيم الدولي: 977-14-1812-2
رقم الإيداع: 2010 / 9228
الطبعة الأولى: إبريل 2010



تليفون: 33472864 - 33466434 02
فاكس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

21 شارع أحمد عرابي - **المهندسين - الجيزة**







مقدمة

في مختلف أرجاء العالم، ثمة مساجد عظيمة تقف شامخةً في قلب كثير من المدن والقرى (البلدات). وهي تعلن – أكثر من أي شيء آخر – عن الهوية الإسلامية لجماعة المسلمين، كما تظهر الرخاء المادي والذوق الفني لأولئك الرجال والنساء الذين كلفوا المعماريين والبنائين بتشييدها.

ويعتقد الكثيرون أن مساجد القرن السادس عشر التي تقع في مدينة إسطنبول الجميلة – عاصمة تركيا – وتلك التي تقع حولها تعد من أجمل المساجد التي شيدت على الإطلاق؛ فبأسقفها المقببة هائلة الحجم، ومناراتها شاهقة الارتفاع، عُدت متقدمة للغاية من الناحية الفنية بالنسبة لعصرها. وقد اشتهرت أيضًا بأناقتها وإشراقها وزخارفها.

صممت المباني الجميلة بواسطة المعماري سنان باشا (1491 – 1588م) بأمر السلطان سليمان الكبير – سلطان الإمبراطورية العثمانية.

وفي هذا الكتاب سنلقي نظرة على مهمة سنان المميزة طويلة الأمد في بلاط السلطان سليمان، وعلى المساجد الجميلة التي بناها. تلك التي لا تزال تحظى حتى يومنا هذا بالإعجاب باعتبارها من أرقى منجزات الفن الإسلامي.



استخدمت الحضارة الإسلامية تقويمًا يختلف عن المتبع في بقاع العالم الأخرى.. توجه إلى صفحة 47 لتعرف المزيد عن ذلك.

انتشار الإسلام

(من الأعلى)

637 م إلى سوريا وفلسطين والعراق وأرمينيا.
644 م إلى مصر.
651 م إلى إيران.
710 م إلى شمال إفريقيا.
711 م إلى جنوب إسبانيا وأفغانستان.
714 م إلى حدود الهند.
751 م إلى الحدود الغربية للصين.

وفي قرون تالية (على اليسار)، انتشر الإسلام متوغلاً شرقًا:
حوالي 1200 م إلى البنجاب.
1300 م إلى الهند.
1400 م إلى البنغال.
1600 م إلى جزر الهند الشرقية.



الإمبراطورية الإسلامية حوالي عام 950 ميلادية

انتشار الإسلام

ولد الرسول (ﷺ) في مكة بشبه الجزيرة العربية في عام 570م وبعد وفاة والديه رباه جده الذي كان يهتم بالسقاية وأمور الحجيج بالبيت الحرام (الكعبة) و لكنه لم يذهب مع جده عند الأصنام ولم يسجد لها ولم يشارك في الطواف حول الكعبة وبها الأصنام، وبعد وفاة جده تكفل به عمه أبو طالب الذي أحبه كما أحب أبناءه. وفي عام 595م دعاه عمه لترك الرعي ولأن يلتحق بالعمل بالتجارة عند السيدة خديجة إحدى شريفات مكة. كان الرسول (ﷺ) في صباه يعمل راعيًا للغنم و كانت ذكرى والديه ووجوده في جو الصحراء والجبال أتاحت له فرصة التفكير والتأمل. رفض أن يعبد الأصنام وحثهم على أن يعبدوا الله الواحد الأحد. وهاجر الرسول (ﷺ) مع أبي بكر ثم تبعه العديد من أهل مكة. بعد أن نقض كفار مكة عهدهم مع النبي ومنعوه من الحج إلى مكة قرر الرسول أن يفتحها.

وفي عام 613 م، وبتشجيع من زوجه السيدة خديجة، بدأ النبي محمد (ﷺ) يجهر بدعوته. فقد أخبر أهل مكة عن وحي الله إليه، وحثهم على أن ينهجوا في حياتهم نهجًا أفضل، لكنهم غضبوا واتخذوا منه موقفًا عدائيًا، وكان نتيجة ذلك أن هاجر النبي محمد (ﷺ) عام 622م إلى المدينة، بصحبة نفر قليل من أهل مكة، فشكلوا معًا أول مجتمع للمسلمين؛ أولئك الذين اعتنقوا الدين الإسلامي. ومع نمو المجتمع المسلم في المدينة، شعروا بأن لديهم ما يكفي من القوة ليحاربوا دفاعًا عن دينهم، وتم لهم فتح مكة عام 630م. قوبل محمد (ﷺ) حين عودته بالترحيب، وأعاد للكعبة مكانتها كمركز للعبادة بالنسبة للمسلمين. لحق رسول الله (ﷺ) بالرفيق الأعلى عام 632م، لكن سرعان ما انتشر الدين الإسلامي الذي دعا إليه، عن طريق التجارة والفتوحات في ربوع إفريقيا وآسيا ومنطقة الشرق الأوسط.

الدين الإسلامي



فرض على المسلمين الصلاة خمس مرات يوميًا. وقبل كل صلاة، يتوضأ المسلمون للتطهر. يولون وجوههم شطر مكة فيتخذون من الكعبة قبلة لهم ويقيمون الصلاة، حيث يتلون آيات من القرآن الكريم مع قيامهم بأداء الركوع والسجود مظهرين الطاعة والخضوع لله.

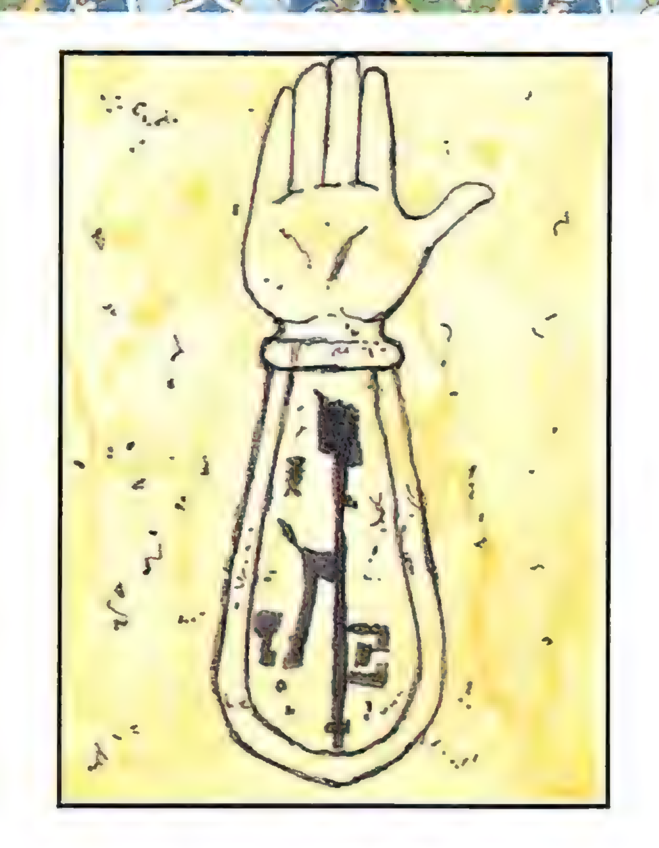
حركات الصلاة

(1) رفع اليدين بالتكبير: الله أكبر.
(2) الركوع. (3) السجود.
(4) القيام من السجود..
(5) الالتفات يمينًا ويسارًا بقول «السلام عليكم ورحمة الله».
مع ملاحظة أن الخطوة (3) السجود تكرر مرتين.

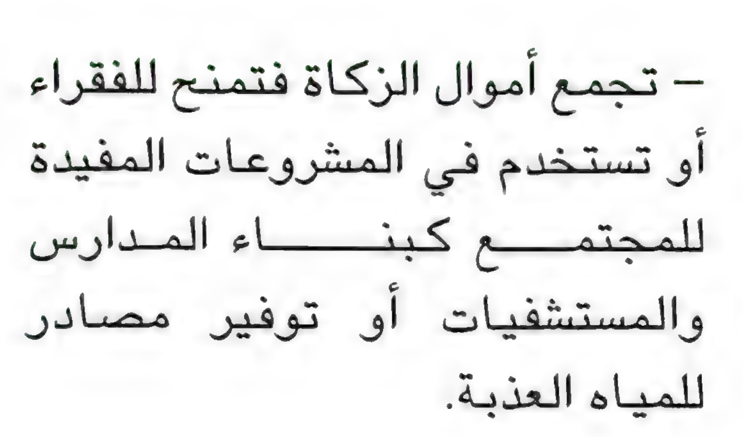
بم يؤمن المسلمون؟

يجتمع جوهر الإسلام في الشهادة، حيث يشهد المسلم بأنه «*لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله*»، وكل من ينطق بكلمات الشهادة بصدق وإخلاص يصبح مسلمًا.

الحج موسم «جليل» وبهيجٌ في نفس الوقت وفيه يسافر المسلمون إلى الأراضي المقدسة (الكعبة بمكة) ليقفوا بين يدي الله ليؤكدوا إيمانهم ويتوبوا إليه ويشكروه على نعمه.



– نقـش يعـود لإسبـانيـا فـي العصور الوسطى يرمز لأركان الإسلام الخمسة.



– تجمع أموال الزكاة فتمنح للفقراء أو تستخدم في المشروعات المفيدة للمجتمـــع كبنــــاء المـــدارس والمستشفيات أو توفير مصادر للمياه العذبة.

ويتضمن الدين من المعتقدات وأسلوب تعبد الناس طريقة تصرفهم، وهدف الدين الإسلامي دائمًا هو الدمج بين الدين عند المسلمين وحياتهم الدنيوية. والمسلم يتحلى بالإيمان ويؤدي الصلاة بانتظام.

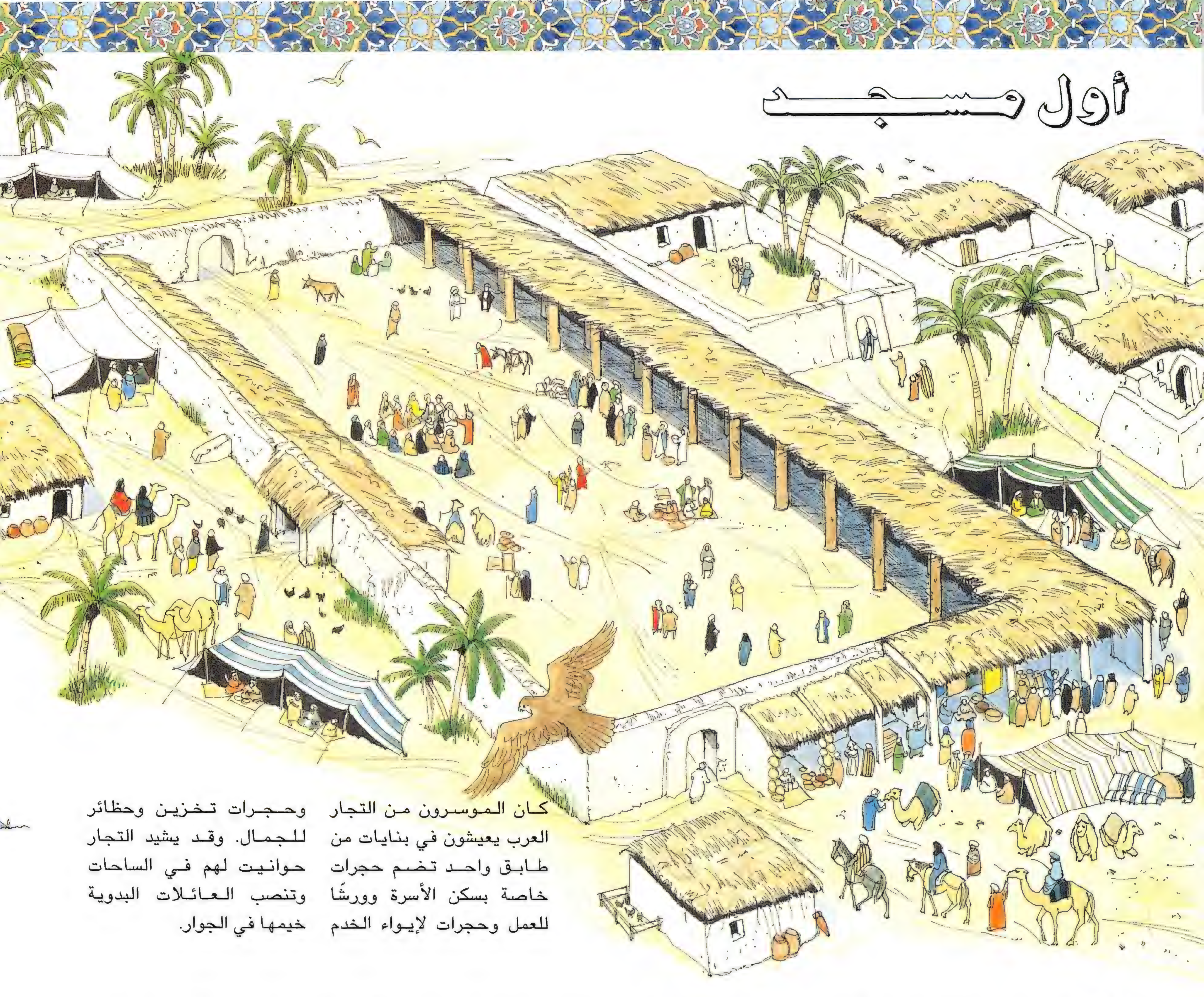
تلك المبـادئ مجتمعة تـعرف بـأركـان الإسـلام الخمسة، وهي تدعم المسلمين بمعاونتهم على أن يصونوا دينهم ويحيوا بأسلوب يأملون أن يرضي الله.

وتفيد تلك الأركان بطرق أخرى أيضًا؛ فالصلاة فـي جماعـة وإيتـاء الغنـي الـزكاة للفقيـر وصيـام المسلميـن شهـرًا في السنـة والسفر معًا فـي الحج – كلهـا تساعـد على توثيـق أواصر الصداقـة والتعاون بين أفراد المجتمع المسلم.



قد يتضمن الذهاب للحج المضي فى رحلة طويلة عبر الصحراء..
وقد خصص المسلمون الموسرون أموالاً لتشييد استراحات وحفر آبار بطول الطرق التي يكثر بها الحجيج. ولدى وصول الحجيج إلى مكة فإنهم يستبدلون بملابسهم ملابس بسيطة بيضاء هي ملابس الإحرام (لإظهار التواضع) فيطوفون بالكعبة – أول بيت عُبد فيه الله – سبعة أشواط، ثم يمارسون الشعائر المقدسة الأخرى.

أول مسجد



كان الموسرون من التجار العرب يعيشون في بنايات من طابق واحد تضم حجرات خاصة بسكن الأسرة وورشًا للعمل وحجرات لإيواء الخدم وحجرات تخزين وحظائر للجمال. وقد يشيد التجار حوانيت لهم في الساحات وتنصب العائلات البدوية خيمها في الجوار.

في عام 622م، عندما هاجر رسول الله (ﷺ) إلى المدينة وعلى بعد ميلين تقريبًا أقام فيها أربعة أيام وكان ذلك في قباء، وأقام فيها أول مسجد في الإسلام. وأخيرًا أصبح بيت النبي (ﷺ) مسجدًا وجميع المساجد التي بنيت فيما بعد تطورت عن هذه البداية البسيطة.

إننا لا نعرف كيف كان يبدو أول مسجد، لكنه في الأغلب كان يشبه غيره من الدور في شبه الجزيرة العربية. بالإضافة إلى ساحة ظليلة يمكن أن يتقابل فيها العائلة والأصدقاء. وبجواره في الخارج كانت الحوانيت والطرقات المزدحمة. ويقع أول مسجد في قلب أول مدينة مسلمة.

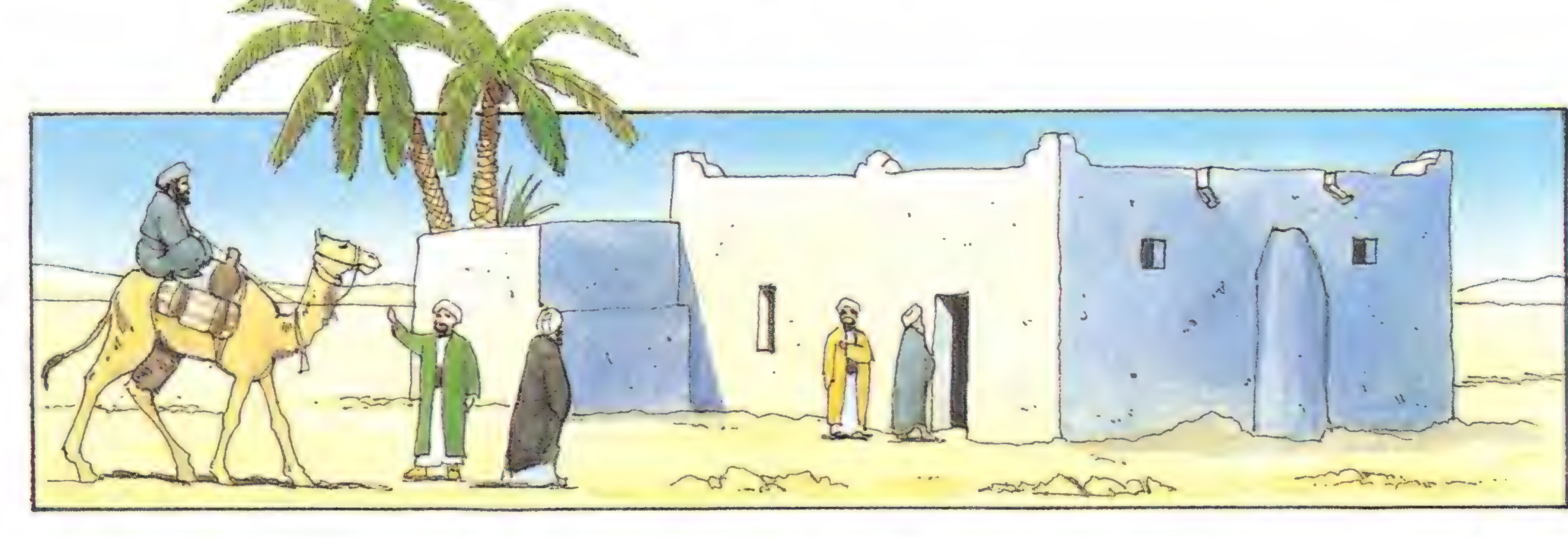
كانت رسالة الرسول (ﷺ) التي كان يدعو إليها في المسجد أو في أي مكان آخر – وحيًا من عند الله. وبعد وفاته، تم جمع وحفظ كلام الله في كتاب هو القرآن. وفي القرن السابع الميلادي لم يكن هناك من يجيد القراءة والكتابة إلا القليل، ولم يتم جمع القرآن إلا بعد وفاة النبي. أما بعض الآيات فنجد أنها كتبت على صحاف مصنوعة من سعف النخيل، كتبها صحابته الذين كانوا يستمعون إليه. والبقية حفظها عدد من المسلمين الأوائل، وانتقل شفهيًا من جيل إلى جيل. وبنفس الأسلوب، انتقلت وحفظت أقوال النبي من الأحاديث الشريفة.



الحوانيت في إحدى المدن المزدحمة بإيران في القرن الثالث عشر.
من اليمين إلى اليسار: صائغ - صيدلي - جزار - خباز - وكانت بعض المدن تحظر بيع الأطعمة ذات الروائح الكريهة أو النفاذة - مثل زيت الطهي - بالقرب من مساجدها. كان المسلمون في العصور الوسطى يمتهنون التجارة، وكان النجاح في العمل يعتبر دليلًا على رضا الله.

ولا تزال المساجد تبنى في المدن والقرى في أرجاء العالم الإسلامي. وكان للمساجد قدسيتها، لكنها لم تكن بمعزل عن بقية العالم. وربما كانت تبنى بجوارها حوانيت الكتبة والمستشفيات والمدارس. والدين بالنسبة للمسلم جزء من حياته اليومية، فلم يكن ثمة فجوة بين ما هو ديني وما هو دنيوي؛ فالله يرى ويحاسب على جميع النيات والأفعال.
كانت الأحكام الدينية تضبط كل شيء، بدءًا من عمليات التجارة بالتراضي، ودفع الضرائب، وتربية الأبناء، والجهاد في سبيل الله.

الطراز البسيط والطراز الزخرفي



مسجد في الصحراء قرب عدن باليمن بني من الحجر والطوب اللبن وصنع سقفه من سعف النخيل. كانت المساجد المحلية البسيطة تبنى بهذه الطريقة منذ مئات السنين.

مع انتشار الإسلام في بلاد كثيرة، حرص الملوك ورجال الدولة وغيرهم من المسلمين الموسرين على بذل الأموال بهدف بناء المساجد كي يتقابل فيها المؤمنون ويصلُّوا جماعةً ويدرسوا شئون الحكم، والتعليم الديني. وكانت جميع هذه المساجد تشترك في عدد من الملامح؛ لأنها كانت تصمم بحيث تلبي حاجات العبادة؛ فكان يخصص بها أماكن ليتوضأ فيها المسلمون قبل الصلاة، وليتركوا أحذيتهم وكان بها محرابٌ خاصٌّ يُبَيِّن اتجاه القبلة وكي يعرف المصلون أي اتجاه يولون وجوههم شطره عند الصلاة. وفي الداخل يوجد مكانٌ مفتوحٌ واسعٌ، مسقوفٌ في الغالب، حيث يستطيع المصلون الركوع جنبًا إلى جنب، وهناك دائمًا منبرٌ يقف عليه الإمام كي يراه ويسمعه المصلون.

لكن من الخارج لا تشبه المساجد بعضها بعضًا؛ فهي تتنوع بين بنايات بسيطة من طابق واحد إلى منشآت ضخمة لها ساحات ومآذن وبوابات وقباب.

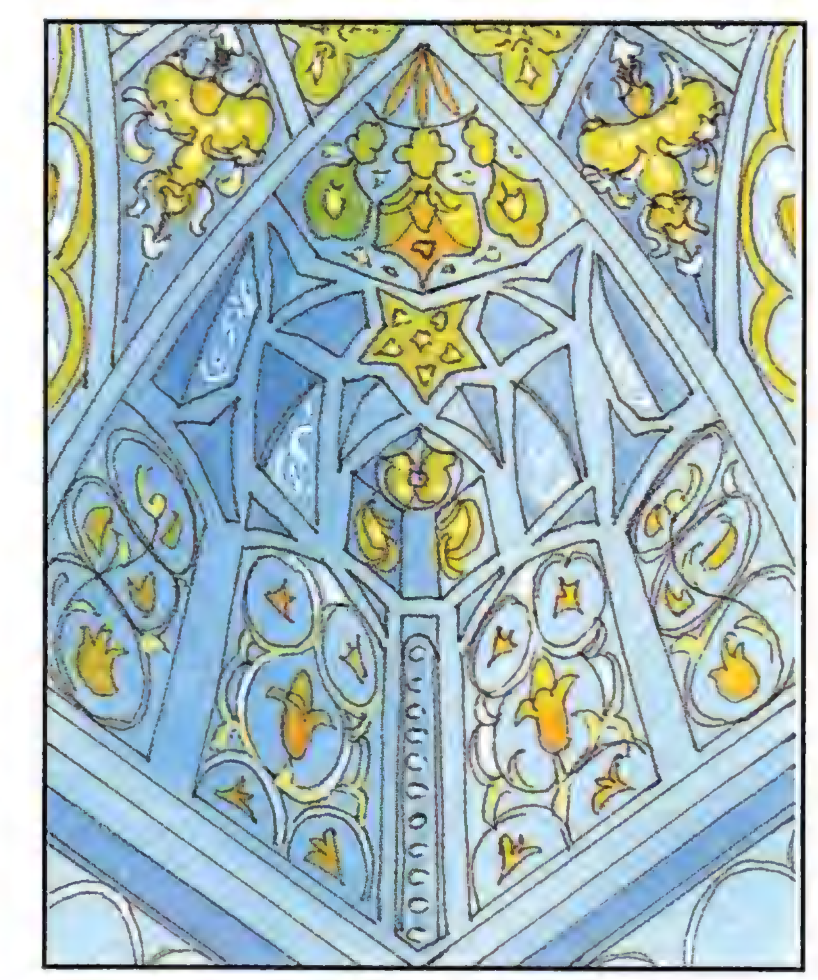
واختلفت مواد البناء وأطرزتها من مكان إلى آخر. وأصبحت المساجد أيضًا أكثر إحكامًا وإتقانًا مع تطور أساليب البناء بمرور السنين، فأبسط المساجد بنيت في المناطق الصحراوية حيث يندر القرميد والأحجار، وحيث لا يوجد تراث محلي خاص بالبناء (فأغلب أهل الصحراء بدو يقطنون الخيام)، أما المساجد الكبرى فكانت تشيد في المدن الأكثر ازدهارًا حيث هناك عدد كبير من السكان المسلمين، كما تزدهر محليًّا حرفة تصميم المباني المعقدة لمواقع المدن الداخلية.

ساحة المسجد

المئذنة

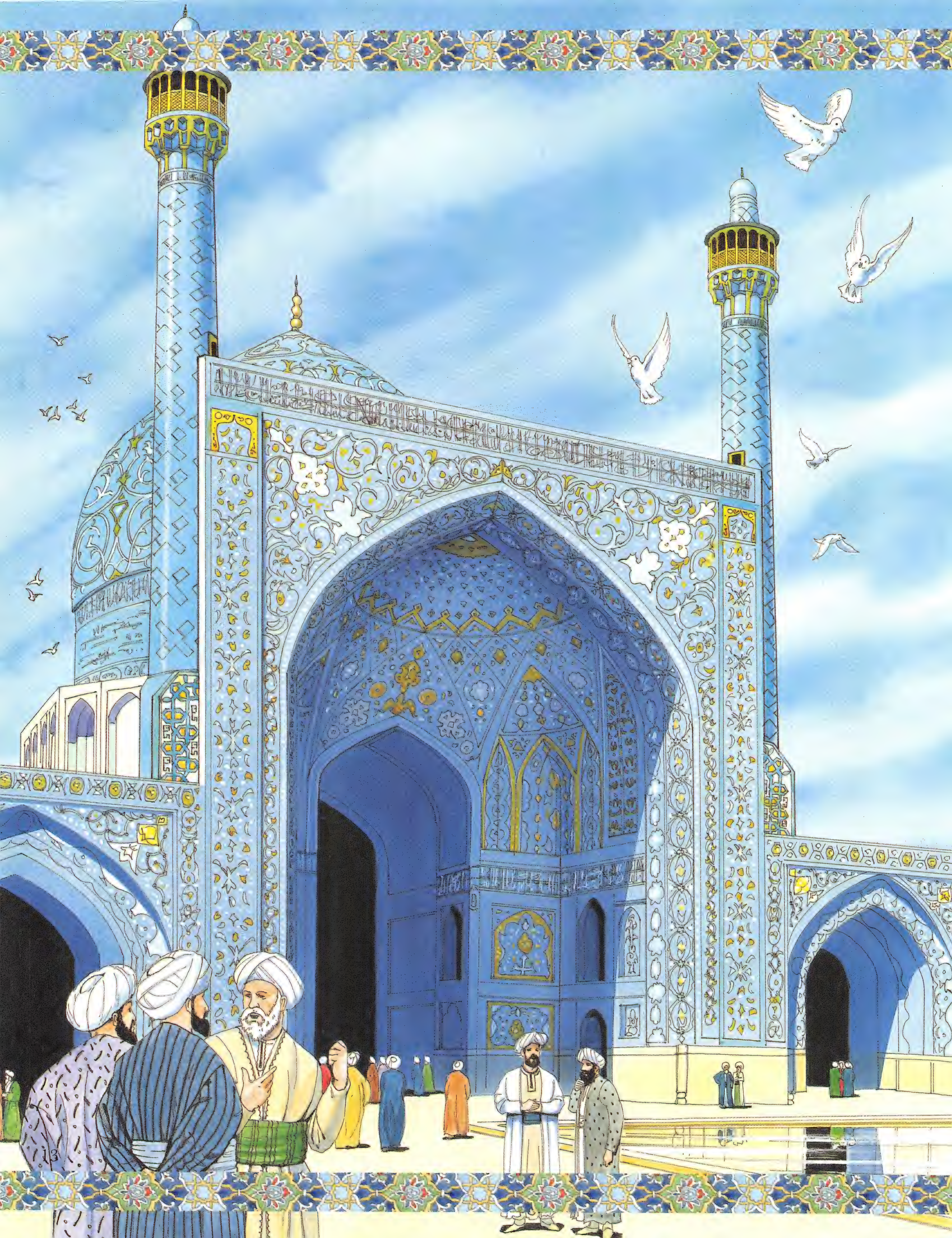
ساحة الصلاة

– الجامع الكبير (يسارًا) في القيروان بتونس، شُيِّد عام 836م على موقع أحد المساجد القديمة وهو أقدم مسجد لا يزال موجودًا حتى الآن في شمال إفريقيا.



مشهد مقرب (يمينًا) لزخرف الجدران في الجامع الملكي بأصفهان، وطبقًا لتعاليم الدين الإسلامي، يسمح فقط باستخدام الأنماط التجريدية لزخرفة المساجد، وقد تم دمج سبعة ألوان زاهية لزيادة إحكام التصميمات. يعتقد كثير من المسلمين بحرمة رسم البشر والحيوانات؛ لأن الله وحده هو القادر على خلق الحياة.

البوابة الكبيرة (يسارًا) لساحة الصلاة في المسجد الملكي في أصفهان بإيران، المُشَيَّد بين عامي 1612م – 1613م يبلغ ارتفاعه 27 مترًا وقد تمت زخرفته بالقرميد ذي الألوان الجميلة، وهي طريقة تراثية لزخرفة المباني المهمة في إيران وآسيا الوسطى، وقد أعاد الشاه القوى عباس الأول (الذي حكم في الفترة من 1588م حتى 1629م) بناء مدينة أصفهان عاصمة له.



حياة العمال

يوم في حياة عامل بناء

باستثناء القصور الملكية، كانت المساجد دائمًا أكبر وأهم المباني في أي مجتمع إسلامي. فلم يشيد أحد منشآت أعلى أو أفخم منها حتى بدايات القرنين التاسع عشر والعشرين. وفي البلدان والمدن المزدحمة، كانت تعتبر علامة، يسهل ملاحظتها، على الرخاء والمكانة الاجتماعية.

وبوجه عام، كلما زاد حجم المدينة وأهميتها، زاد حجم مسجدها وأهميته. وكان الأفراد أو الجماعات الذين يمولون المسجد يرغبون أيضًا في أن يعكس ذوقهم الحسن، وكذلك احترامهم وإخلاصهم للدين الإسلامي.

قبل شروق الشمس وقت الاستيقاظ ثم ارتداء الملابس والتهيؤ للعمل بعد أداء صلاة الصبح.

7 صباحًا (صيفًا): ميعاد الإفطار؛ خبز ولبن رائب تقدمه الزوجة أو الخادم، بالإضافة إلى ماء للشرب.



7.30 صباحًا: يحضر إلى موقع البناء الموجود على مقربة من غرف العمال والحرفيين، وتنص قوانين المدينة على أن الحرفيين المدربين تدريبًا جيدًا فقط هم الذين يعملون.







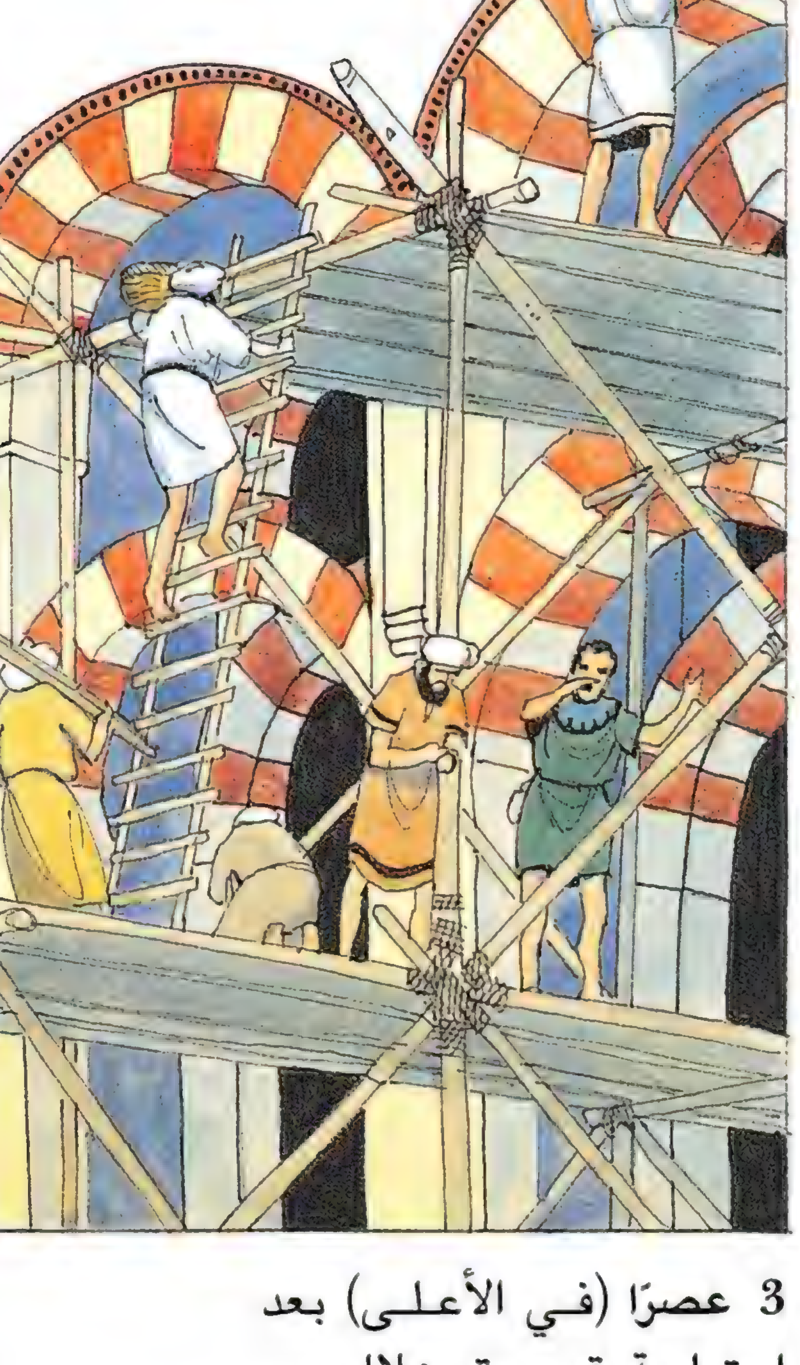
8 صباحًا: يُلقي رئيس العمال الأوامر، وكما يحدث في كثير من البلدان الإسلامية، هناك أشخاص يعملون معًا وينتمون إلى ديانات مختلفة.



10 صباحًا: وصلت من الأتون (الفرن) حمولة من القرميد. وهو يشرف على العمال الذين ينزلون الحمولة.



صلاة الظهر. الغداء (خبز وجبن)، ثم يراقب معلم البناء عمله ويثني عليه.



3 عصرًا (في الأعلى) بعد استراحة قصيرة خلال حر الظهيرة، يعمل مع البنائين الآخرين في بناء دعامات مقوسة الشكل لتدعيم السقف.



6 مساء (يمينًا) بعد الصلاة، يسير عائدًا إلى بيته مرورًا بالسوق ويشتري لحم ضأن وبصلاً كي تعد زوجته الطعام.

قنوات لتجميع ماء المطر.

فناء (حوش)

حجرات خاصة بالنساء.

سطح منبسط لزيادة المساحة المعيشية.

نوافذ صغيرة مستطيلة الشكل

جدران سميكة

بيت من نهايات القرون الوسطى ينتمي إلى جنوب الأندلس، وكانت هناك بيوت شبيهة بهذا البيت يتم تشييدها في العديد من البلدان الإسلامية، فتوفر الخصوصية والأمان للأسر والخدم.

9 مساء: يدعو أصدقاءه من الرجال على العشاء فيأكلون الثريد ويشربون القهوة.

في كثير من البلدان، يتم حثُّ نساء المسلمين على المكوث في بيوتهن، لكنهن مع ذلك يعملن؛ فالعاملات يطهين الطعام ويغزلن ويعتنين بالمرضى وبالأطفال، أما من ينتمين منهن إلى الأسر الثرية، فيصبحن طالبات علم.

أغلب من عملوا في تشييد المساجد من العمال الحرفيين كانوا من المسلمين، لكن ليس جميعهم.

وكان هذا الأمر يعتمد على موقع المسجد. وفي بعض البلدان الإسلامية مثل الأندلس (إسبانيا) ودول شمال إفريقيا والشرق الأوسط كان يتم توظيف عمال من غير المسلمين؛ لأنهم كانوا مدربين في مهارات معينة مثل أعمال الجص على سبيل المثال. بالنسبة للمسلمين يعد المسيحيون واليهود أهل كتاب، مما يعني أنهم يعبدون **الله** وحده مثل المسلمين إلا أن المسيحيين واليهود حرفوا دينهم وصارو مشركين، لكنهم أهل ذمة... يجب على الدولة حمايتهم رغم الاختلافات الدينية. وكانت تلك الأمم المختلفة تحيا، وتصلي، وتتدرب على الحرف بشكل منفصل ولكن بسلام في المجمل.



الإمبراطورية العثمانية

الإمبراطورية العثمانية (يسارًا) خلال حكم السلطان سليمان الثاني (الكبير) (أو المشرع) 1520 – 1566

رعايا الإمبراطورية:
1 – امرأة تركية ثرية وابنتها.
2 – امرأة مملوكية من مصر.
3 – أمة.
4 – تاجر مسيحي من البوسنة.
5 – طبيب يهودي.
6 – امرأة سورية.
7 – رجل صوفي (ناسك مسلم).
8 – بائع كباب تركي (كبابجي تركي).
9 – سقاء تركي.



أول من رسم الأفراد الذين يظهرون في هذه الصفحة رحالة فرنسي، عام 1568م.



القـاضـي (يسـارًا) أي العـالـم المتخصص في الشريعة الإسلامية المستندة إلى القرآن. هؤلاء القضاة يحكمون طبقًا للشريعة في المحاكم الشرعية.

الجنود العثمانيون:
(1) جندي من سلاح الفرسان.
(2) متدرب من الإنكشارية.
(3) أحد جنـود الإنكشارية فـي زي الاسـتـعراض العسكري.

الـ 30 ألف إنكشاري كانوا فرقة عسكرية مميزة ومختارة تم انتقاؤها من الغلمان المسيحيين الذين ترسلهم البلدان المفتوحة إلى الإمبراطورية.

تاجر من شبه الجزيرة العربية (على اليمين) كان التجار المسلمون يرتحلون إلى كثير من البلدان المختلفة.

مع الانتشار السريع للإسلام، نمت حضارة إسلامية قوية ومزدهرة وكان يحكم البلدان الواقعة تحت سيطرة المسلمين في جنوب أوربا وشمال إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط الخلفاء – أولئك القادة ذوو السلطات السياسية والدينية في البداية، وكان مقر حكم الخليفة في الدولة الأموية هو دمشق العاصمة السورية، لكن الخلافة انتقلت عام 762م في الدولة العباسية إلى العاصمة الجديدة في بغداد.

كانت بغداد هي مركز الحضارة الإسلامية لسنوات عديدة، رغم أن حكام المسلمين الآخرين دائمًا ما كانوا يتجاهلون سلطات الخليفة، لكن في عام 1258م دمر الغزاة المغول مدينة بغداد، ولفترة لم تقم بعض البلدان الإسلامية بأي تحركات قوية. لكن الدولة الإسلامية الطموح حديثة التأسيس في مصر، حيث كان المماليك بقيادة سيف الدين قطز، سرعان ما نهضت متحمسةً للدفاع عن الإسلام ضد هجمات المغول الجديدة ثم بقيادة صلاح الدين الأيوبي ضد الحملات الصليبية من الغرب.

وكانت أقوى تلك الدول الجديدة وأكثرها فاعلية هي التي أسسها السلطان التركي عثمان الذي حكم في الفترة ما بين عامي 1281م إلى 1324م.

وقد حارب السلاطين العثمانيون الذين تلوه بلا كلل أو ملل لفتح أراضٍ جديدة. وفي عام 1453م فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية والتي كانت معقل الإمبراطورية البيزنطية وأطلق عليها إسطنبول.. وبحلول القرن السادس عشر، كان العثمانيون هم أقوى حكام منطقة الشرق الأوسط، وبلغ من قوتهم أن كانت لديهم القدرة على هزيمة الدول الإسلامية المنافسة في مصر وإيران، كما كانت لديهم القدرة على هزيمة أسطول بحري.

سليمان الكبير

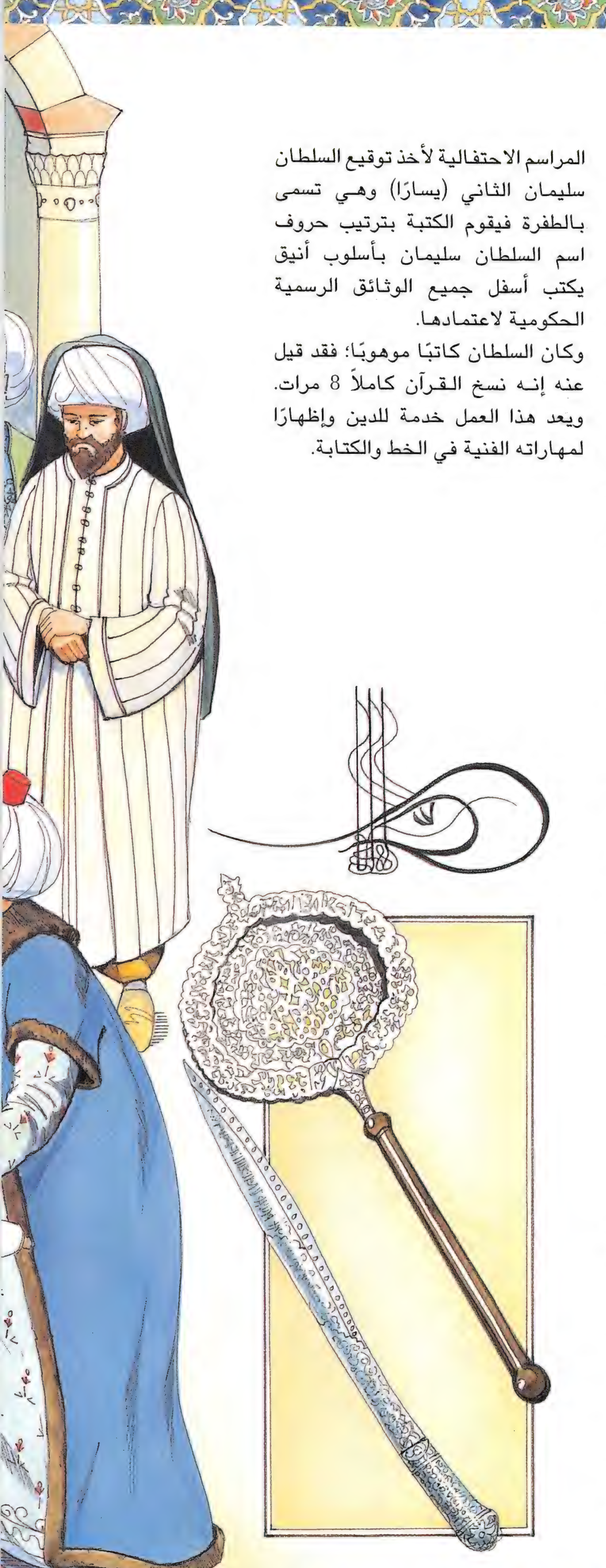
أ

السلطان سليمان الثاني عام 1494م،وجلس على العرش عام 1520م وخلال فترة حكمه وصلت الإمبراطورية العثمانية إلى أوج ازدهارها. ولعدة سنوات دخلت إمبراطوريته في الحرب، فقد حارب إيران وفتح المجر، وقاد قواده حملات إلى الهند وشبه الجزيرة العربية ومصر وشمال إفريقيا، واشتبكت سفنه مع أساطيل فرنسا وإيطاليا في البحر المتوسط، ومات في المجر عام 1566م.

وفي أوربا، عرف هذا السلطان بـ «سليمان الكبير»؛ إجلالاً لامتياز وعظمة بلاطه. وقد كتب أحد الرحالة الفرنسيين عام 1554م: أنه كان يجلس على وسائد من نسيج من الذهب ويرتدي رداء من الحرير الأبيض، وعمامة فوق قلنسوة من المخمل الأحمر القاني. وثُبت بالعمامة دبوس مستدير من الذهب مرصع بياقوتة لامعة ضخمة كالبندقة.

أما رعايا الإمبراطورية العثمانية التي كان يحكمها السلطان سليمان فكانوا يدعونه «المشرع» وقد وضع قوانين حازمة وعيَّن رجالاً من ذوي الحنكة في الإدارة؛ لضمان استقرار بلدان الإمبراطورية، كما أنه طبق الشريعة.

ولما يزيد على 50 عامًا، عمل سليمان مع المعماري سنان باشا (1491–1588م) على تبديل وجه القسطنطينية ببنايات جديدة أنيقة. ومثل الكثيرين من كبار موظفي السلطان سليمان، تم انتقاء سنان عن طريق نظام «الدوشيرمة»، أي أخذ الغلمان من البلدان التي فتحت للخدمة كجنود أو عبيد، ولم يكن هذا بالنظام الجديد، لكن السلطان سليمان أحسن استخدامه.



المراسم الاحتفالية لأخذ توقيع السلطان سليمان الثاني (يسارًا) وهي تسمى بالطفرة فيقوم الكتبة بترتيب حروف اسم السلطان سليمان بأسلوب أنيق يكتب أسفل جميع الوثائق الرسمية الحكومية لاعتمادها.

وكان السلطان كاتبًا موهوبًا؛ فقد قيل عنه إنه نسخ القرآن كاملاً 8 مرات. ويعد هذا العمل خدمة للدين وإظهارًا لمهاراته الفنية في الخط والكتابة.

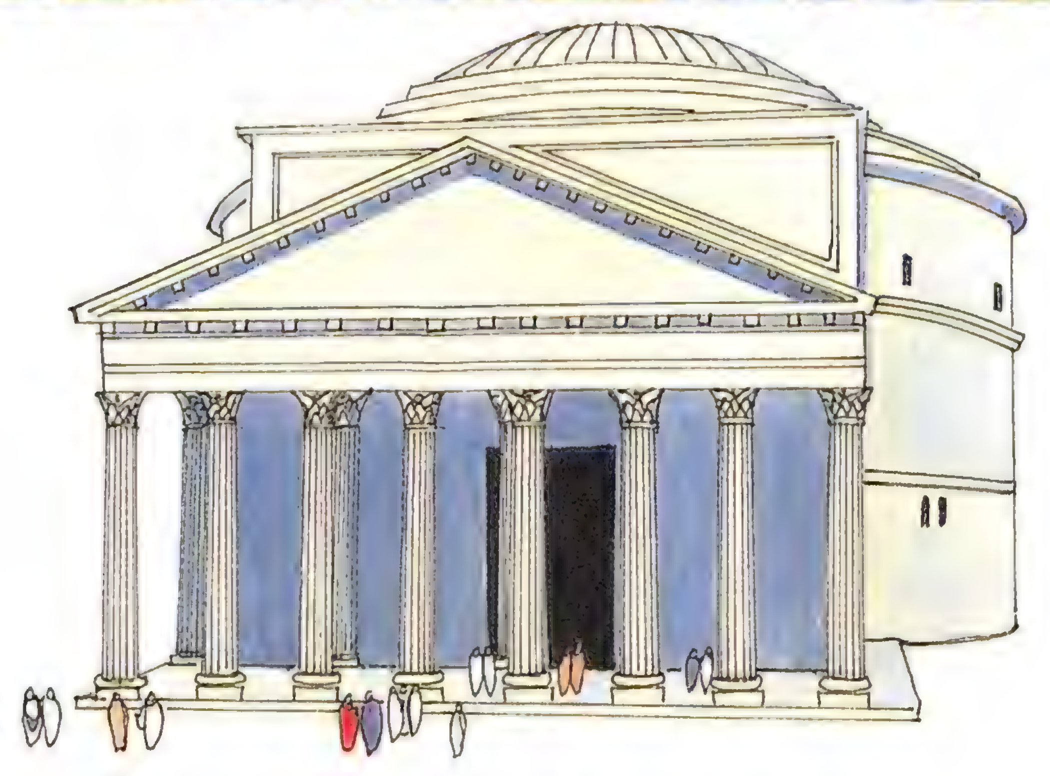
كان مقر حكم السلاطين العثمانيين قصرًا منيفًا هو (طوبقيو سراي) الذي يقع وسط إسطنبول، وهو لا يبدو من الخارج لافتًا للنظر، لكنه كان من الداخل عبارة عن تحفة من القرميد الملون والسجاد الحريري والزجاج اللامع والأدوات المعدنية والمجوهرات، وكان السلاطين يعقدون به الدواوين التي تضم جميع مستشاريهم.

مرآة (على اليسار) صنعت للسلطان سليمان الثاني بين عامي 1543–1544م. قبضتها من خشب الأبنوس، وإطارها من العاج المنقوش وسيف (أسفل اليسار) في غمد من الذهب المرصع بالجواهر، صنع خصيصًا للسلطان سليمان الثاني. وكان السلاطين العثمانيون يدفعون الأموال للحرفيين المهرة ليصنعوا لهم المصابيح والقوارير والصناديق المزخرفة ودبابيس العمائم، حتى الدروع من المعادن الثمينة والأحجار الكريمة.



الأسقف المقببة

عُيِّن سنان باشا مهندسًا معماريًّا للبلاط عام 1538م. قبل ذلك، عمل مهندسًا في الجيش لعدة سنوات. ويقال إن سليمان قد لاحظ مهارات سنان أثناء الحملات العسكرية في ثلاثينيات القرن السادس عشر. ولد سنان في تركيا لعائلة يونانية مسيحية أرثوذكسية. كانت تركيا مليئة بالمعابد القديمة وكنائس من العصور الوسطى. أثناء سفره في الحملات العسكرية كان يلاحظ طرازات العمارة، ولكونه معماري البلاط فقد استطاع الاطلاع على مقتنيات مكتبة السلطان سليمان التي تحوي العديد من الكتب في العمارة والتاريخ. كذلك فإنه ربما قابل بعض فناني أوروبا الذين أطلعوه على التصميمات الجديدة لعصر النهضة في العمارة.

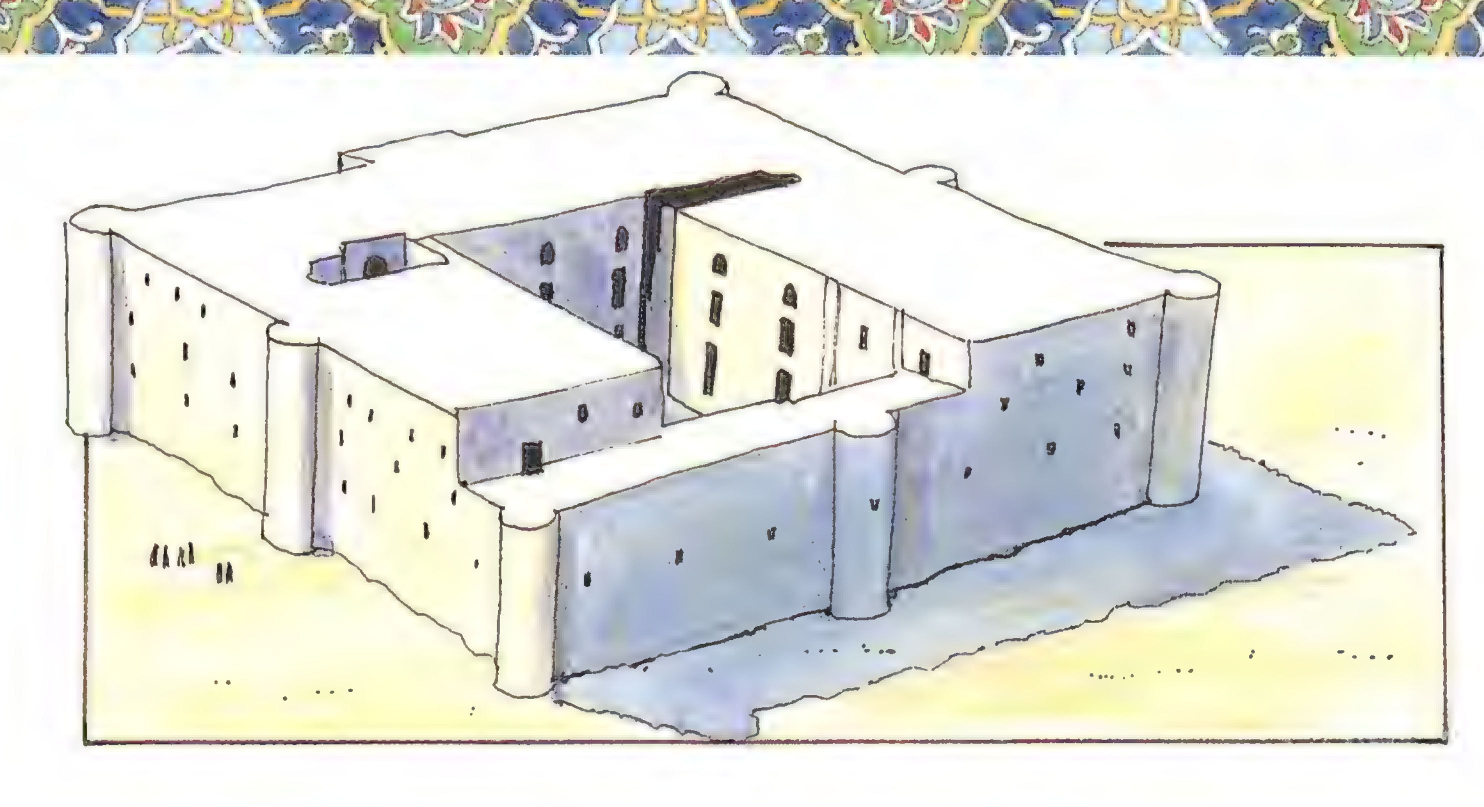


شيد مبنى البانثيون (أعلى) في روما بين عامي 100–125م. و كانت قبته هي أكبر قبة في العالم القديم. بلغ قطرها 43 مترًا.

بنيت قبة البانثيون (أسفل) باستخدام الطوب والخرسانة. كانت تدعمها جدران على شكل أسطوانات مصنوعة من صفوف من الأعمدة.

مئذنة مسجد في سامراء بالعراق. وقد أسست المدينة حوالي عام 836م ليقيم بها حراس الدولة العباسية. تولى العباسيون الحكم عام 750م حيث شهدت الفنون الإسلامية والعلوم ازدهارًا كبيرًا.

شيد الجامع الكبير في دمشق عام 705–715م وقد زين بفسيفساء وزخارف إسلامية رائعة تصور أشجارًا وأشكالًا زخرفية صغيرة.



استخدم سنان جميع تلك المعلومات عندما كان يشرع في تصميم بناياته. كما استخدم خبرته الهندسية ليحل مشكلة فنية كبرى، ألا وهي كيف يغطي المساحة الخالية العريضة لقاعة الصلاة بسقف جميل وأنيق؟ وكانت الإجابة التي توصل إليها هي: القبة.

من المعمار الإسلامي (الأعلى إلى اليمين): قصر يعود إلى القرن الثامن الميلادي في صحراء الأردن، وقد شيد حول إحدى الساحات، وخصص للصلاة وعقد الاجتماعات.

بني مسجد قبة الصخرة بالقدس (في الأعلى) بين عامي 687 و 691م. وهو يجمع ما بين الطرازين المعماريين: الإسلامي والروماني.

كان الرومان يبنون معابد مقببة، لكنها كانت مستديرة، وهو ما لم يكن بالشكل الملائم بالنسبة لصلاة المسلمين حيث يركع المصلون في صلاتهم جنبًا إلى جنب مواجهين للقبلة.

وقد بنى المسلمون بعض البنايات بقباب صغيرة، لكن عمليًا، حقق أعظم إنجاز في هذا المضمار معماريون مسيحيون في كنيسة تدعى الحكمة المقدسة. فقد توصلوا إلى طريقة لبناء قبة أعلى قاعة فسيحة مربعة. وأراد سنان أن يفعل ما هو أفضل، من أجل عزة الإسلام.

دعامات الكتف تدعم ثقل القبة

القبة

عليقة

صحن مربع

يمكن تدعيم القبة المبنية أعلى بناية مربعة باستخدام أشكال إنشائية تسمى العليقات، والملونة هنا باللون الوردي.

أسفل إلى اليسار نرى: كنيسة الحكمة المقدسة في القسطنطينية المبنيَّة بين عامي 532–537م.

قبة

عليقة

مبنى مربع

قبة

صحن مربع

كتف

مسجد السلطان سليمان

كانت كنيسة الحكمة المقدسة ذات القبة الجميلة تقف قائمة في وسط القسطنطينية تمامًا وعندما فتح العثمانيون المدينة عام 1453م حولوا الكنيسة إلى مسجد، لكن هذا لم يرق لسنان أو لسليمان؛ فقد أرادا أن يبنيا بنفسهما مسجدًا عظيمًا.

وكان هذا تقليدًا ومفخرة شائعة بين عائلات المسلمين الثرية – أن يبذلوا الأموال لتشييد البنايات الخيرية من جميع الأنواع. وبعد توليه منصب معماري البلاط، كان سنان قد صمم بالفعل مسجدًا (مسجد شهرزاد الذي بني فيما بين عامي 1544–1548م)؛ تخليدًا لذكرى أحد أبناء السلطان سليمان، كما أن آخرين من الشخصيات المهمة في بلاط السلطان سليمان طلبوا من سنان باشا أن يؤدي أعمالاً خاصة بهم، فقد شيد مسجدين لاثنين من أقوى رجال الدولة في عهد السلطان سليمان، وهما سوكولو محمد باشا ورستم باشا وكذلك لابنة السلطان سليمان الأميرة مريم.

في عام 1550م، أخبر السلطان سليمان «سنان» باشا برغبته في بناء مسجد تخليدًا لذكراه، فكانت مهمة سنان هي تصميم مبنى المسجد السليماني، بحيث يجمع بين الهدوء والسلام بما يليق به كمكان للعبادة، ويعكس أيضًا فخامة السلطان سليمان وذوقه الفني الرفيع، وتمنى سنان باشا أن يتسم المسجد بسمة أخرى هي أن يكون متقدمًا وغير مسبوق من الناحية الفنية المعمارية.

المسجد السليماني بالقسطنطينية:

1– الهلال: رمز الإسلام.
2– القبة.
3– المئذنة.
4– الأكتاف الطائرة.
5– العليقات (أعمال حجرية بنيت لتدعيم قبة دائرية أعلى هيكل مربع يتألف من أربعة أعمدة هائلة في أركان قاعة للصلاة، وأحد الأعمدة، المرقم برقم 11 ظاهر في الرسم).
6– لوحة دائرية مزينة بنقوش من آيات القرآن.
7– قالب من القرميد في قوس حجري.
8– مآذن وأكتاف تحمل ثقل القبة.
9– نافذة ضخمة مقوسة.
10– كتف تدعم الحوائط الخارجية لقاعة الصلاة.
11– دعامة (عمود يساعد في دعم القبة).
12– شرفة مشعل المصابيح، صنعت من المشغولات الحديدية الزخرفية.
13– أرضية قاعة للصلاة، يغطيها السجاد.
14– ساحة المسجد.
15– البوابة الرئيسية.
16– حائط القبلة، ويضم المحراب الذي يدل المصلين على اتجاه الكعبة.



كان المسجد يصمم كعدد من الحجرات المتعارف عليها، أو مجمع يضم ساحة وقاعة للصلاة، بالإضافة إلى مبانٍ أخرى كثيرة، صممت بهدف خدمةٍ المجتمع المسلم وبسبب موقعه المركزى، كانت الحوانيت والمقاهي الجديدة حديثة الطراز تبنى بمحاذاة حائطه الخارجي.

مهمة شاقة

تمكن سنان باشا وفريقه من العمال من تشييد المسجد السليماني وجميع المباني الملحقة به في أقل من سبع سنوات، ما بين عامي 1550 و 1557 وعُدَّ هذا في وقتها إنجازًا مذهلاً؛ فالمسجد وساحته والجبانة الملكية الصغيرة المجاورة له غطت مساحة هائلة بلغت حوالي 30500 متر مربع.

وبالإضافة إلى هذا، غطت المستشفى والمطبخ والمدارس والمضيفة والحمامات التابعة للمسجد مساحة كبيرة من الأرض، واكتنف مهمة سنان باشا كثير من الصعوبة بسبب الموقع الذي تخيره سليمان باشا لمسجده الجديد، فقد شاء أن يقيم بناءه في حدائق القصر الملكي القديم التي تحتل موقعًا ساحرًا على منحدر أحد التلال، وتطل على شريط ساحلي ضيق لبحر يسمى القرن الذهبي الذي يفصل قارتي أوربا وآسيا، لكن أرض تلك الحدائق كانت صخرية وشديدة الانحدار؛ لذا كان على سنان أن يبني رصيفًا منبسطًا فسيحًا ليوفر للمسجد أساسًا راسخًا قبل البدء في أي أعمال إنشائية، كما شيد لنفسه بيتًا صغيرًا بالجوار؛ حتى يكون موجودًا ليل نهار ليشرف بنفسه على العمل.

وكانت مشكلة سنان الأساسية الثالثة هي الضغط الواقع عليه من السلطان سليمان لينتهي من تشييد مسجده سريعًا. فالسلطان كان يزداد تقدمًا في السن. (كان عمره 56 سنة عام 1550م) بينما كان عمر سنان 59 سنة)، ولم تكن صحته على ما يرام، وقد رغب في أن يرى المسجد مكتملاً قبل موته. والواقع أن سليمان عُمِّر حوالي عشر سنوات بعد افتتاح مسجده رسميًّا عام 1557م.

استخدم في بناء المسجد السليماني حجر عسليُّ اللون ورخام رمادي مع كميات صغيرة من الرخام الأخضر والأحمر والأبيض النادر، استخدمت في عمليات الزخرفة. وقد لونت بعض التشكيلات الحجرية في الأصل باللون الأزرق، لكن يبدو أن سنان غير رأيه واقترح تلوينها بألوان الأسود والأحمر والأبيض بدلاً من ذلك. وقد قام حسن شلبي وهو خطاط شهير قادم من سرقسيا CIRCASSIA (الواقعة اليوم على حدود روسيا وجورجيا) بنقش وتلوين أغلب الآيات التي تزين المسجد. وعلي مدار الجزء الداخلي من القبة العظيمة التي تعمل على إنارتها 32 نافذة، كتب هذه الآية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

تكلف إنشاء المسجد السليماني مبلغًا كبيرًا من المال، فقد أصر كل من سنان باشا والسلطان سليمان على استخدام أفضل الخامات وأمهر العمال، الذين كانوا يُستجلبون عند الضرورة إلى إسطنبول من بقاع الإمبراطورية العثمانية المترامية.

كان رئيس العمال الذي اعتمد عليه سنان باشا قادمًا من أرمينيا. وكان يسجل أدق الحسابات لجميع الأموال التي تم إنفاقها على الصرح الجديد العظيم مستخدمًا لغته الأرمينية وليس اللغة التركية العثمانية الرسمية التي تستخدم في التحدث والكتابة ببلاط السلطان سليمان.

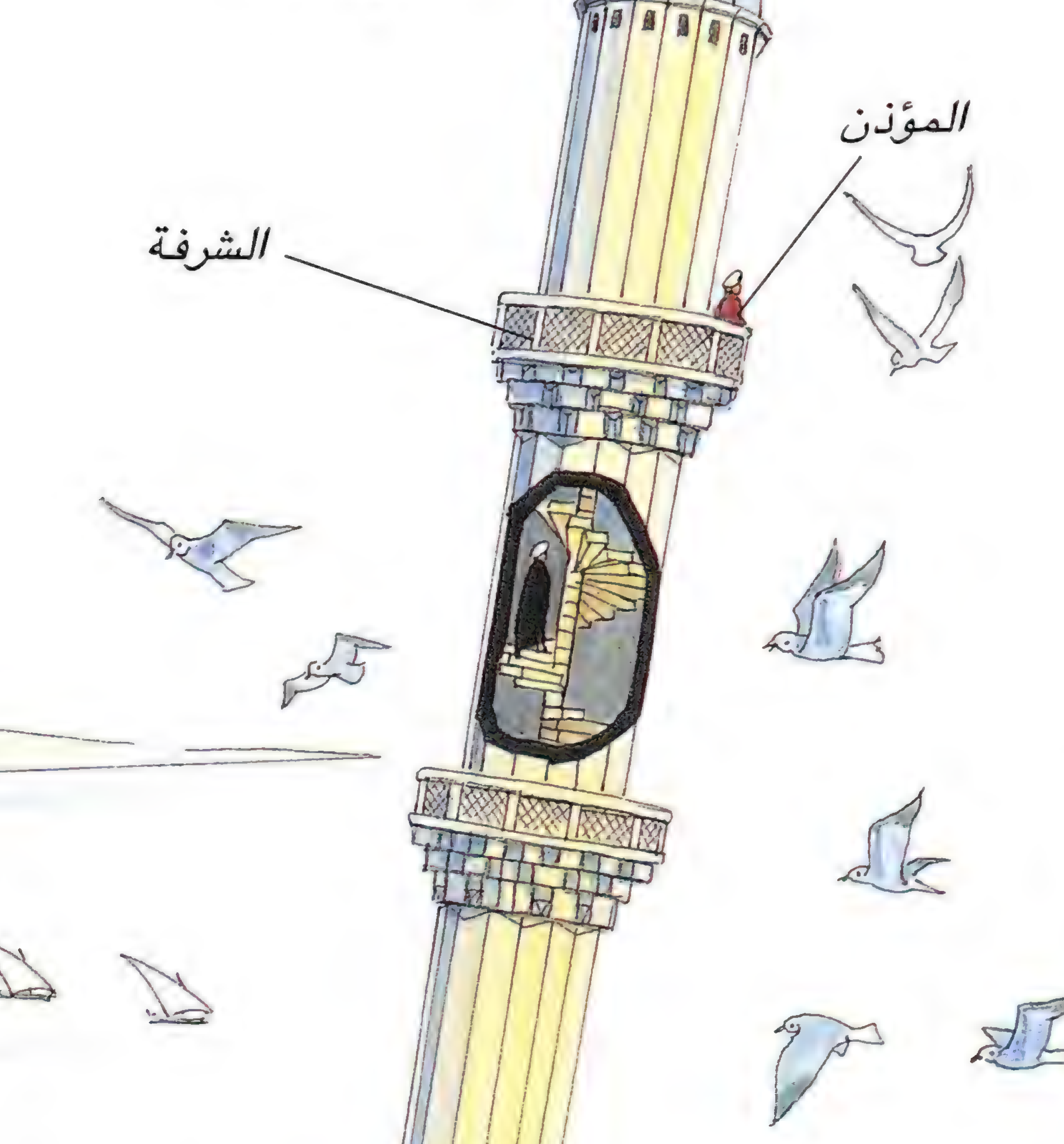


نداء الصلاة (الأذان)

إن الموقع المنحدر للمسجد السليماني كان يعني أن تطل مباني المجمع بالكامل على شوارع المدينة المزدحمة، وهو ما كان مدروسًا ومخططًا له؛ فقد أراد له كل من سنان وسليمان أن يكون إشارة إلى عظمة الإسلام، وإلى قوة الإمبراطورية العثمانية كذلك.

وثمة خصائص أخرى عديدة تمنح المسجد السليماني طابعه الفريد، فتعلو أركان فنائه أربع مآذن شاهقة (مع العلم بأن المنشآت الملكية فقط هي المسموح لها ببناء أكثر من برج أو منارة)، وتزين سقف فنائه صفوف من القباب الصغيرة، وقد استخدم سنان أكثر من 400 قبة صغيرة لتزيين المسجد، وشكلت منظرًا فريدًا مواجهًا للسماء، وحاكت مجتمعةً الحجم الضخم للقبة الرئيسية لقاعة الصلاة.

وفي المسجد السليماني لم يكلل مسعى سنان لبناء قبة أوسع وأعلى من قبة كنيسة الحكمة المقدسة بالنجاح، لكنه أبدع حقًا قاعة صلاة فسيحة وجيدة الإضاءة بشكل يدعو للدهشة، محاطة بمجموعة من البنايات القوية الأصغر حجمًا، وصمم كذلك مقبرتين أنيقتين دفن بهما كل من السلطان سليمان وزوجته، بينما بني قبر سنان بالجوار.



بالمسجد السليماني أربع مآذن (اثنتان منها تتميزان بالعلو واثنتان قصيرتان). ويبلغ ارتفاع الواحدة من المئذنتين العاليتين 64 مترًا، عدا الأسطح المعدنية المدببة التي تعلوها.

البوابة الرئيسية

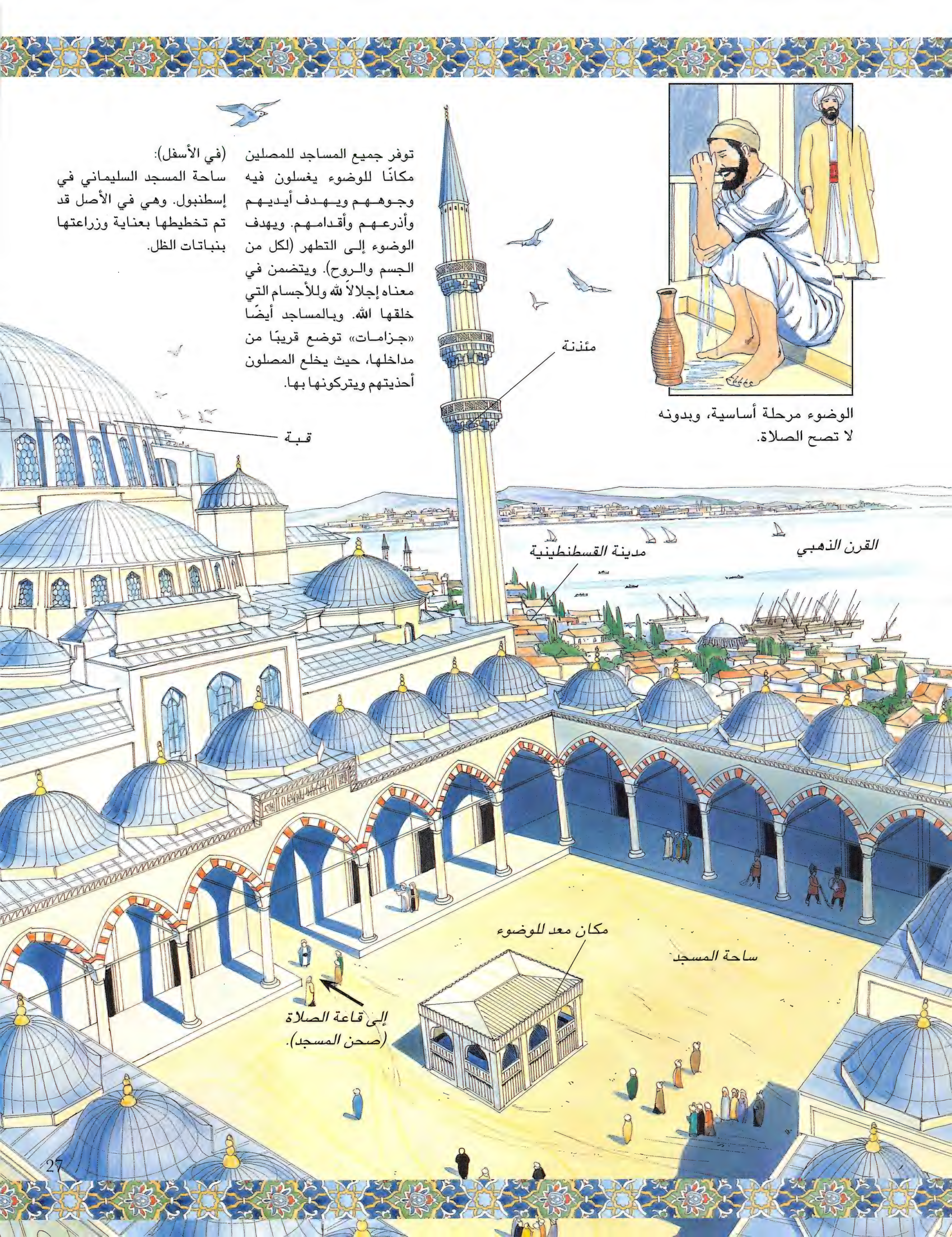
ومن فوق المآذن يرتفع صوت المؤذن بنداء الحق:

الله أكبر الله أكبر
أشهد أن لا إله إلا الله
أشهد أن محمدًا رسول الله
حيَّ على الصلاة
حي على الفلاح
الله أكبر الله أكبر
لا إله إلا الله

بنيت المآذن (بالأسفل) طبقًا للعديد من الأطرزة المحلية. وكلما زاد ارتفاع المئذنة اتسعت رقعة الأماكن التي يصل إليها صوت المؤذن.

1– دلهي،الهند.
2– تونس، شمال إفريقيا.
3– القاهرة، مصر.

وفي حالة عدم وجود مئذنة، كان المؤذنون يؤذنون من فوق أسطح المنازل أو الجدران العالية.



توفر جميع المساجد للمصلين مكانًا للوضوء يغسلون فيه وجوههم ويهدف أيديهم وأذرعهم وأقدامهم. ويهدف الوضوء إلى التطهر (لكل من الجسم والروح). ويتضمن في معناه إجلالاً لله وللأجسام التي خلقها الله. وبالمساجد أيضًا «جزامات» توضع قريبًا من داخلها، حيث يخلع المصلون أحذيتهم ويتركونها بها.

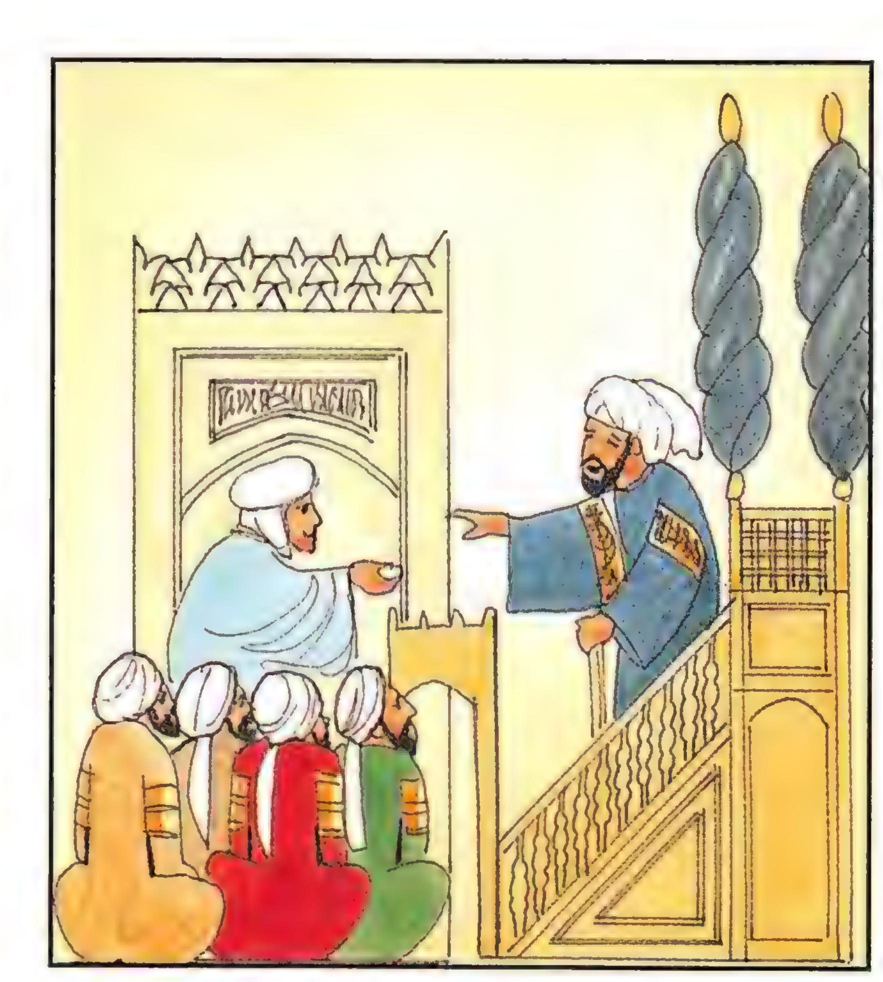
(في الأسفل):
ساحة المسجد السليماني في إسطنبول. وهي في الأصل قد تم تخطيطها بعناية وزراعتها بنباتات الظل.

الوضوء مرحلة أساسية، وبدونه لا تصح الصلاة.

المحراب والمنبر

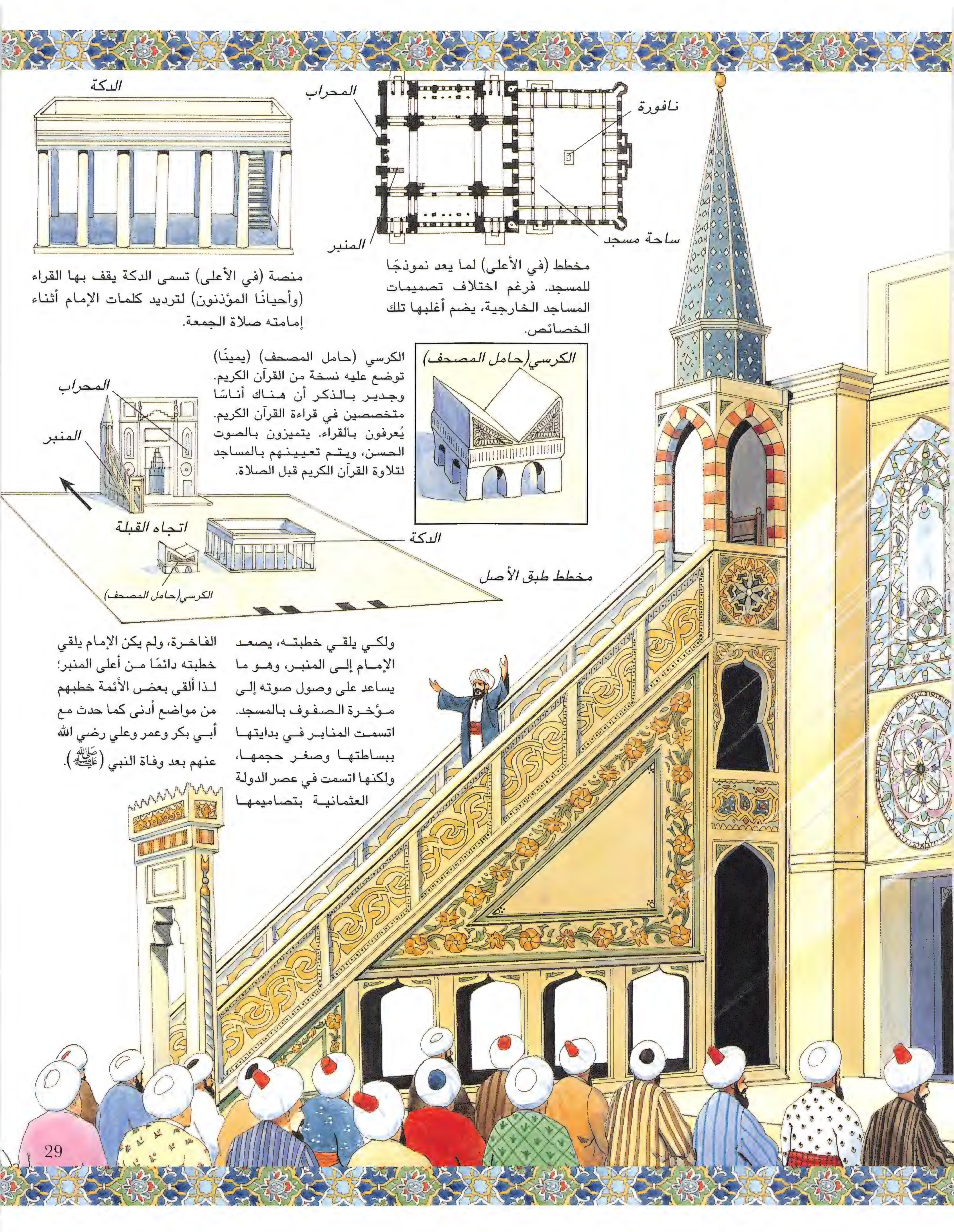
جاء المصلون إلى المسجد السليماني ليصلُّوا ويستمعوا إلى الخطبة لأول مرة عام 1557، وسرعان ما اكتشفوا أن المسجد باهر من الداخل تمامًا كما هو من الخارج. وكانت قبلتهم الكعبة المشرفة في مكة يحددها محراب فخم يظهر في أحد الحوائط. ويزين هذا المحراب الرخامي رمادي اللون أبدع نقوش الخط العربي التي استطاع أن يحرزها سنان والتي تجمع بين اللونين الأخضر والذهبي. أما في الناحية الأخرى فيرتفع عمود رخامي طويل بالغ الأناقة. كان ذلك المحراب الجميل بالنسبة للسلطان سليمان ولسنان باشا وللعمال المهرة، حتى للمصلين الذين يؤمون المسجد – دليلاً على تعظيم الكعبة المشرفة قبلة رسول **الله** وقبلة المسلمين من بعده وبيت **الله** العتيق، أول بيت وضع للناس ليعبدوا **الله** عز وجل.

وبجوار المحراب، صمم سنان منبرًا عاليًا يقف فيه إمام المسجد ليلقي خطبة الجمعة. ويذكر التاريخ أن شكل المنبر ذي الدرج ما هو إلا تطور للمنبر البسيط الذي كان يصعد عليه رسول **الله** (ﷺ) أثناء إلقائه خطبه؛ كي يتمكن من سماعه المزيد من الحضور. وقد شُيد منبر المسجد السليماني من الرخام المنقوش والمزين بزخارف من اللونين الأخضر والأبيض، أما قمته الزرقاء الداكنة التي تتخذ شكل البرج، فمرصعة بنجوم ذهبية تجعلها كسماء الليل.



مشهد من داخل أحد المساجد (يمينًا) مأخوذ من إحدى المخطوطات الإيرانية التي تنتمي للقرن الثالث عشر الميلادي، وفيه يظهر الإمام وهو يعظ المصلين الجالسين على الأرض.

كانت المحاريب (يسارًا) تزين غالبًا بنقوش من الحجر أو الجص أو الفسيفساء أو القرميد تثبت شموع طويلة على جانبيها، فالمسجد السليماني به حاملان كبيرا الحجم مخصصان لتثبيت الشموع.



منصة (في الأعلى) تسمى الدكة يقف بها القراء (وأحيانًا المؤذنون) لترديد كلمات الإمام أثناء إمامته صلاة الجمعة.

مخطط (في الأعلى) لما يعد نموذجًا للمسجد. فرغم اختلاف تصميمات المساجد الخارجية، يضم أغلبها تلك الخصائص.

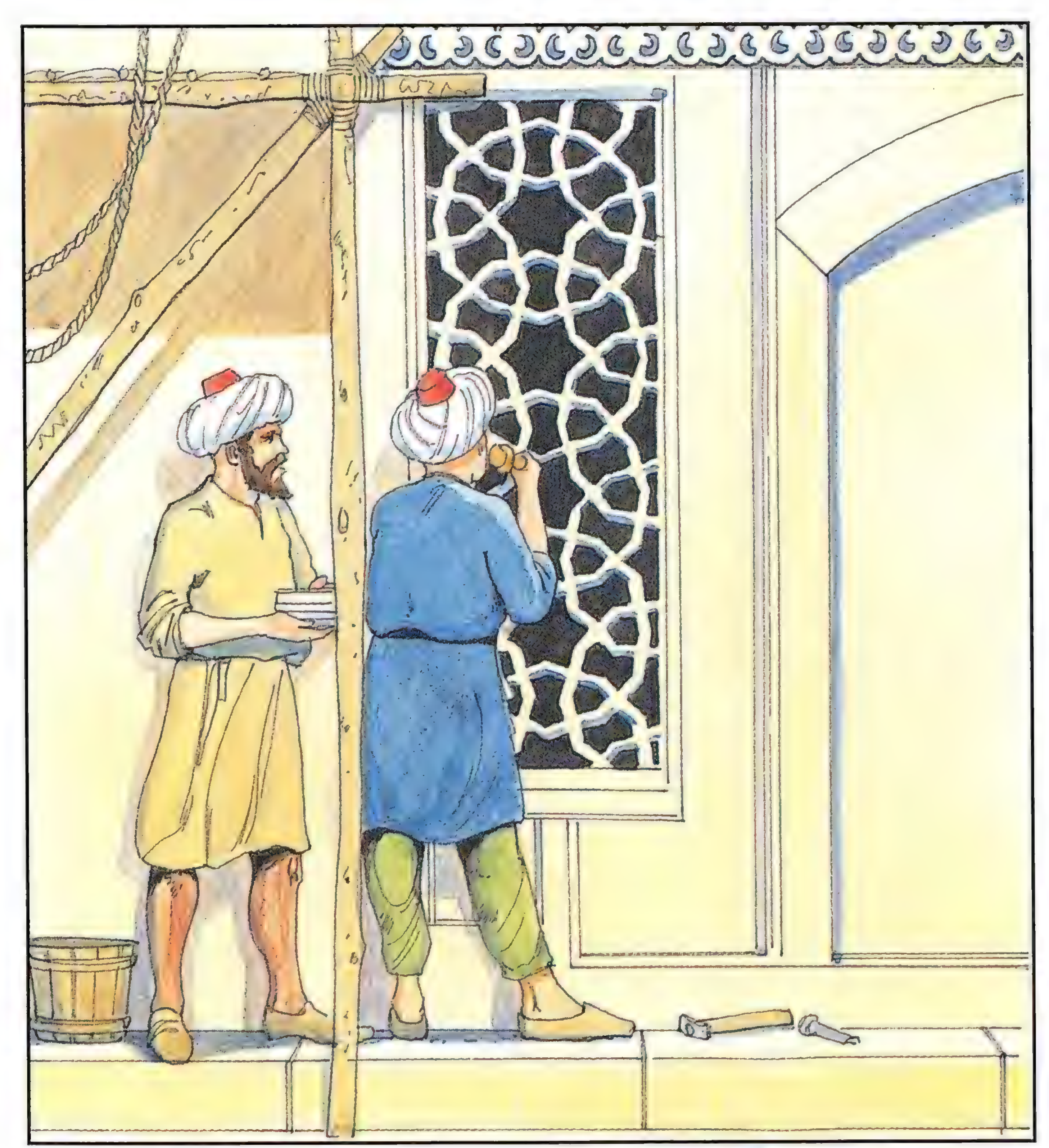
الكرسي (حامل المصحف) (يمينًا) توضع عليه نسخة من القرآن الكريم. وجدير بالذكر أن هناك أناسًا متخصصين في قراءة القرآن الكريم. يُعرفون بالقراء. يتميزون بالصوت الحسن، ويتم تعيينهم بالمساجد لتلاوة القرآن الكريم قبل الصلاة.

ولكي يلقي خطبته، يصعد الإمام إلى المنبر، وهو ما يساعد على وصول صوته إلى مؤخرة الصفوف بالمسجد. اتسمت المنابر في بدايتها ببساطتها وصغر حجمها، ولكنها اتسمت في عصر الدولة العثمانية بتصاميمها الفاخرة، ولم يكن الإمام يلقي خطبته دائمًا من أعلى المنبر؛ لذا ألقى بعض الأئمة خطبهم من مواضع أدنى كما حدث مع أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم بعد وفاة النبي (ﷺ).

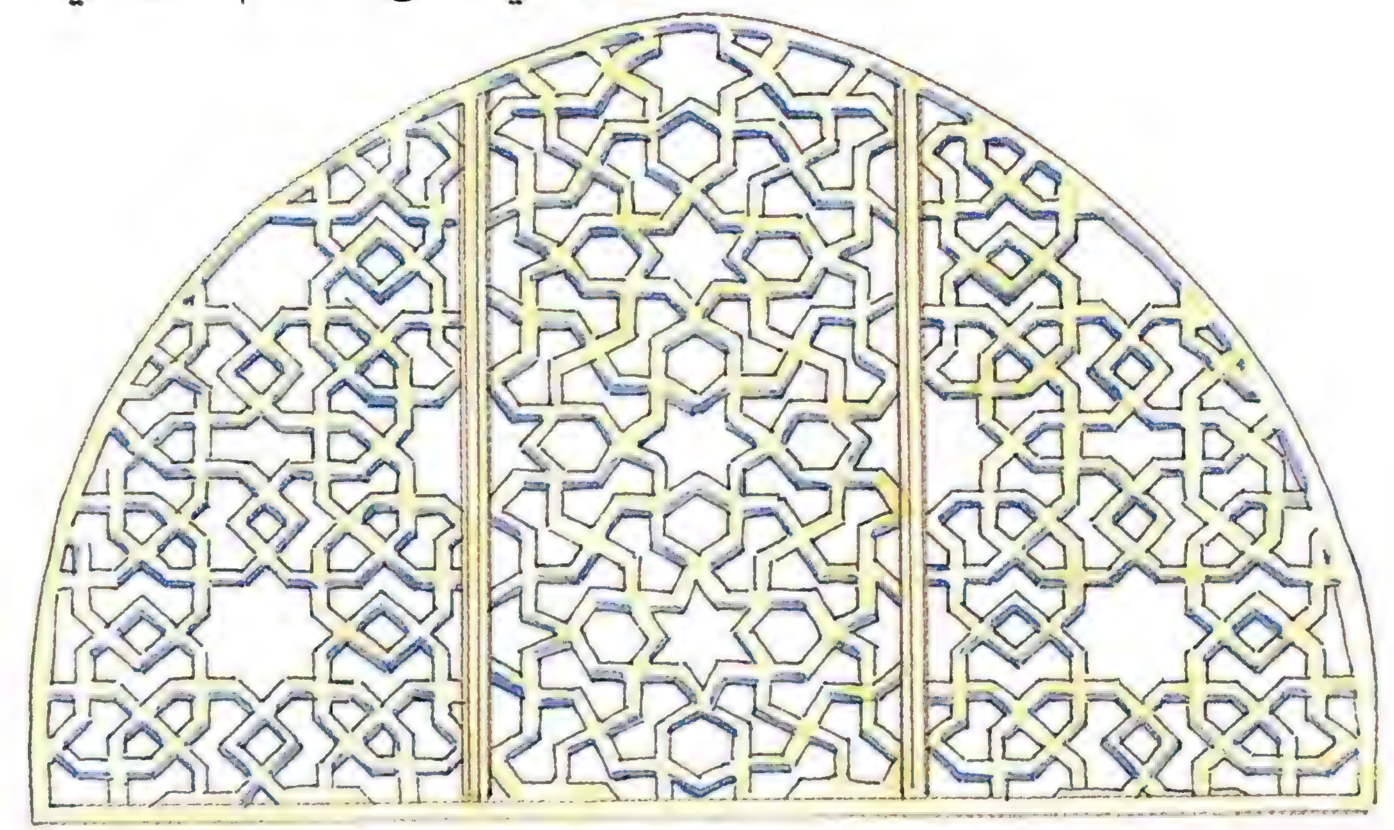
المنحوتات ونقوش القرميد

بالرغم من عدم حصول سنان باشا على أي تدريب في مدارس قصر السلطان سليمان، فإنه كان إداريًا محنكًا، ففضلًا عن قيامه بتصميم عدد من المساجد العظيمة، كان عليه أيضًا أن ينسق العمل بين قوة عاملة كبيرة العدد تضم حرفيين مهرة متخصصين في حرفهم، كان هؤلاء العمال حاصلين على تدريب رفيع المستوى، وكان كثير منهم ينتمون إلى نقابات الصناع التي كانت تشرف على عمل أعضائها؛ لضمان الوصول إلى مستويات أداء قياسية، وقد ضمت المهارات الحرفية في الإمبراطورية العثمانية أعمال المشغولات المعدنية والمنحوتات الخشبية والحجرية.

وقد استخدمت جميع تلك الفنون في زخرفة وتزيين المسجد السليماني؛ فنحتت الأبواب والنوافذ والحواجز وزخرفت بأشكال متداخلة متشابكة، وانتمى كثير من تلك المنحوتات إلى التراث، وقام أغلبها على الأشكال الهندسية. وكان ينبغي للمسجد أن يتحلَّى – على وجه الخصوص – بباب جميل، فهو يذكر المصلين بأن الانتظام في الصلاة وقراءة القرآن هما «البوابتان» الروحيتان للطريق إلى الله.

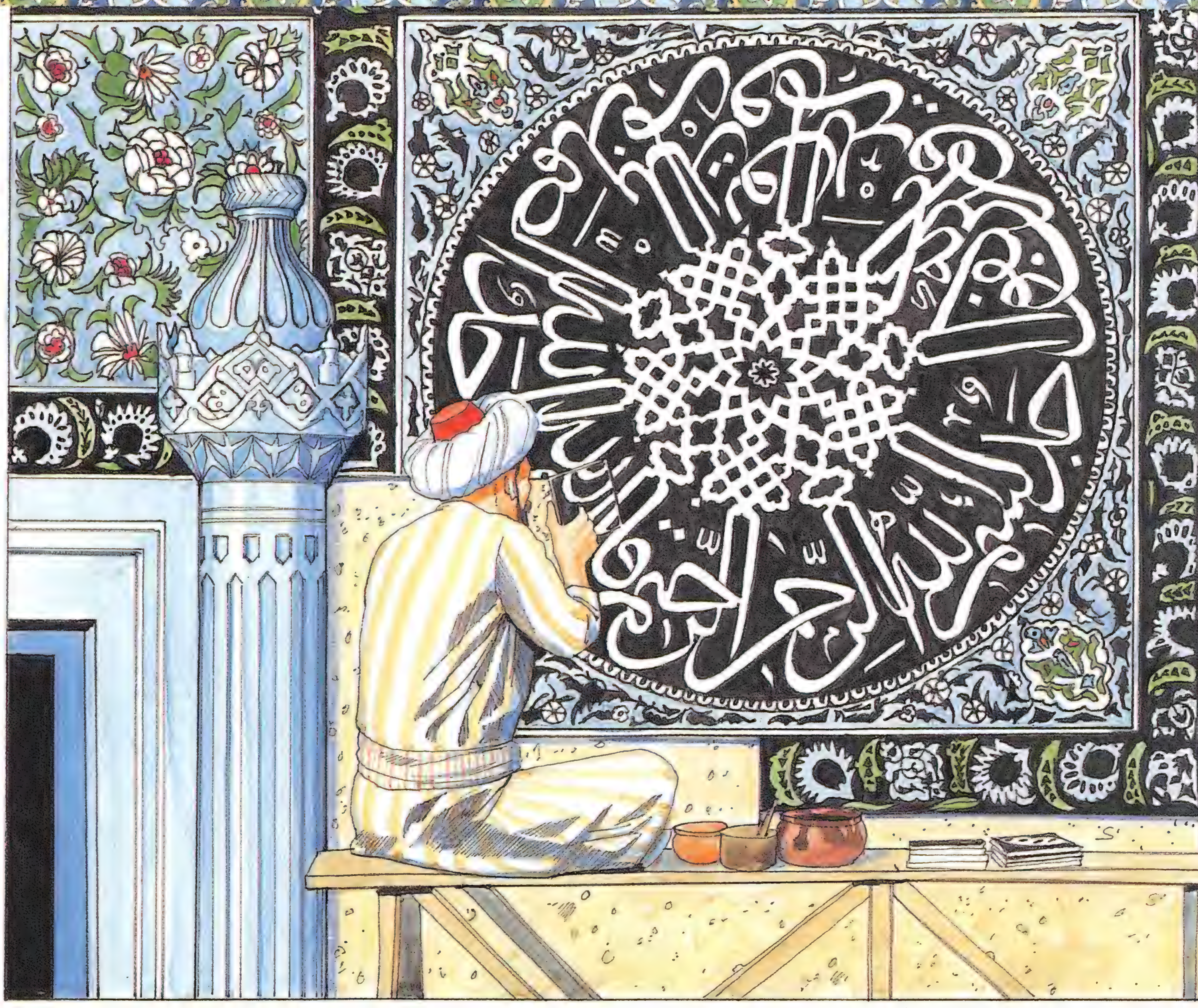


نحاتو الحجر أثناء تأدية عملهم (يسارًا) في إبداع تصميم تجريدي.



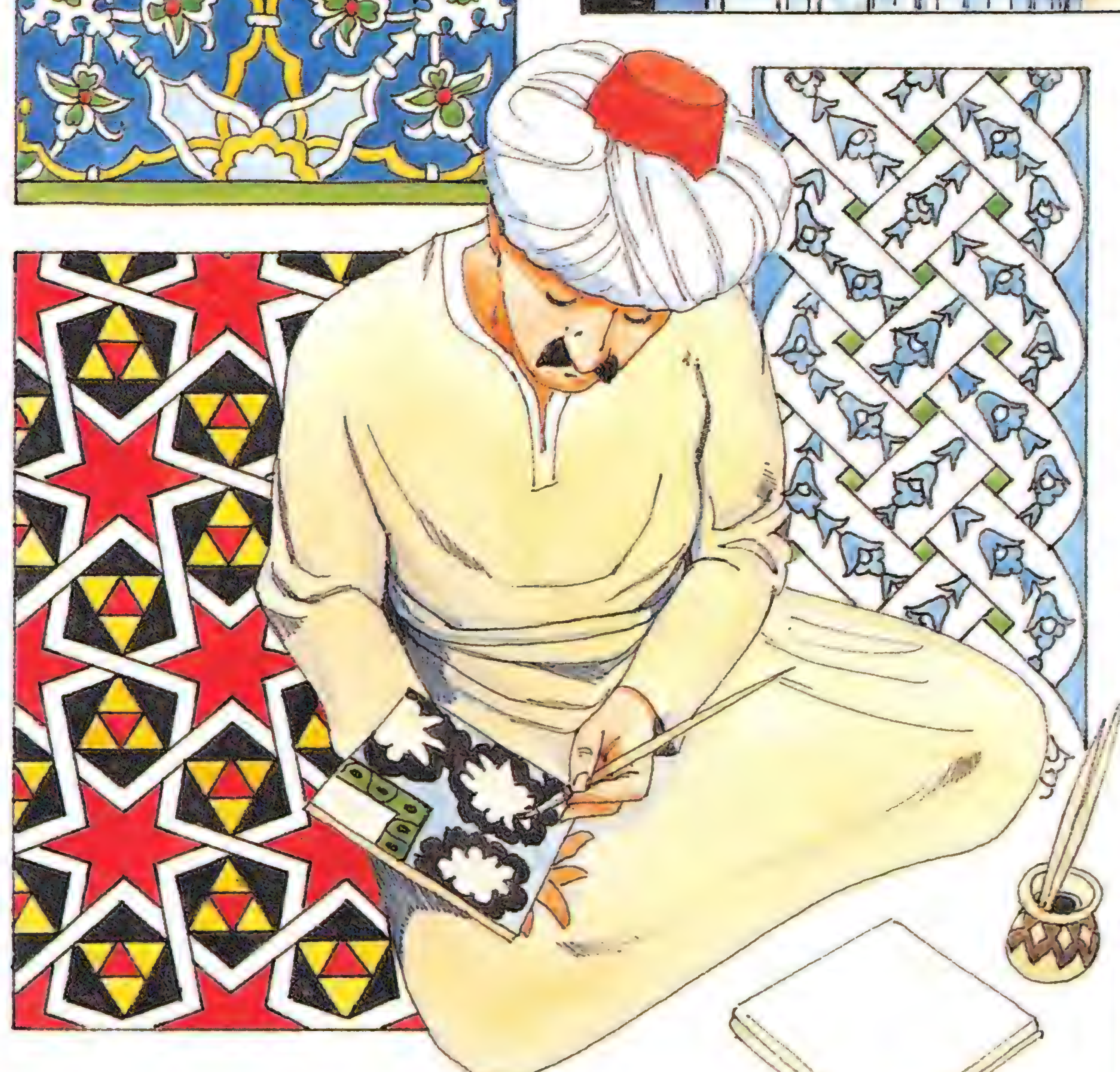
نوافذ زجاجية من الزجاج الرقيق (في الأعلى) في إطاراتها الجصية تدعمها مصبَّعات زخرفية (حواجز من قضبان صلبة)، مصنوعة من الحديد أو الحجر. وامتلأت الفراغات التي تعلو النوافذ والبوابات أيضًا بنقوش ذات أنماط معقدة ومحكمة. تنتمي هذه المصبغة الحجرية إلى مسجد شهر زاد محمد بإسطنبول، الذي صممه سنان بين عامي 1544 و 1548م.

كانت أبواب المساجد (يسارًا) تصنع من الخشب، وتنحت (باستخدام إزميل ومدق خشبي) على أشكال هندسية أو آيات من القرآن. طُعمت أبواب المسجد السليماني بالعاج والأبنوس وعروق اللؤلؤ. كان ذلك ذا قيمة عالية جدًا في القرن السابع عشر في تركيا. أما المزاليج والمفصلات فكانت تصنع من البرونز.



استخدم القرميد (يمينًا) المزخرف بنقوش من آيات القرآن الكريم؛ لتزيين المحراب في المسجد السليماني.

وفي الأسفل: استخدم في تلوين القرميد خليط من المواد الكيميائية، كما استخدم في الدهان فرشاة ناعمة. وبعد ذلك تم إحراقها (تعريضها لدرجة حرارة عالية) بأحد الأفران. وقد تطلب الأمر مهارة خاصة للوصول إلى درجة الحرارة المناسبة؛ لأنه لو زادت درجة الحرارة أو قلت عن الحد المطلوب لتلفت قوالب القرميد.

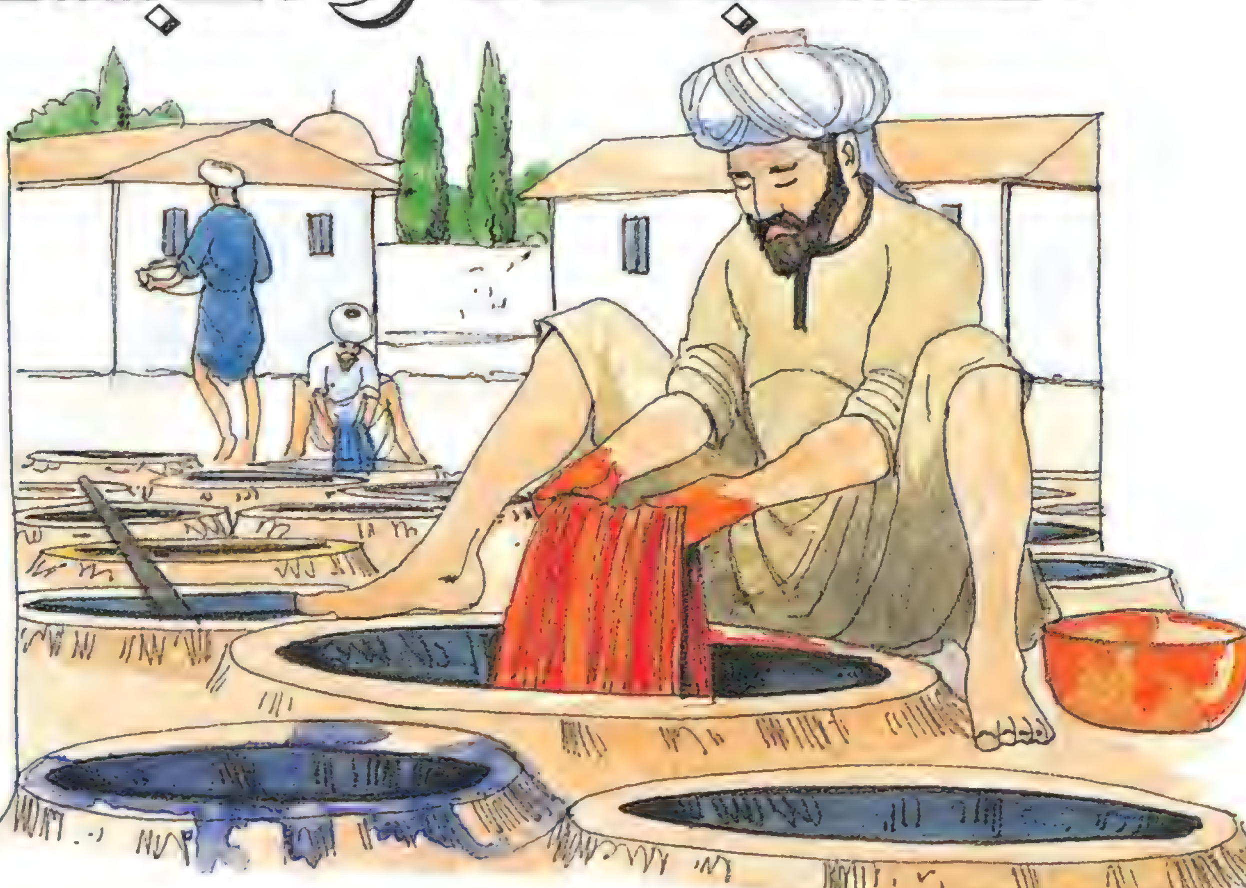


اعتبر عمال القرميد الذين عملوا في مدينة إزنك بتركيا أشهر عمال الإمبراطورية العثمانية. ففي عهد السلطان سليمان، ابتكروا طريقة لتلوين القرميد مستخدمين ألوانًا زاهية (الأخضر والقرمزي والأزرق والأرجواني الفاتح والأحمر والأبيض والأسود) مكسوة بطبقة لامعة شفافة. وقد استُحدث أفضل التصميمات من الزهور، خاصة القرنفل الذي كان يحظى بشهرة خاصة، واشترك في نفس طريقة الزخرفة قصر «توبكابر» وهو قصر السلطان سليمان، وقبره، والعديد من المساجد الأخرى، وضم مسجد السلطان أحمد في إسطنبول 20 ألف قالب من القرميد.



عادة ما كانت قوالب القرميد تخضع لعملية التلوين، أما القطع الصغيرة التي كانت تقطع من القرميد الملون فكان يمكن ترتيبها بجانب بعضها البعض لتشكيل ما يعرف بالفسيفساء. وقد ابتكر هذه الفسيفساء المصنوعة من القرميد حرفيو إيران المهرة حوالي عام 1200م.

السجاد والبُسُط





قطعة قماش مكتملة الصنع (أقصى اليمين) وغزل معد للنسيج يتم صبغه في حفر مبطنة بالصلصال. واتسمت الأصباغ بروائحها الكريهة وعدم جودتها. محل الكيميائي في العراق (إلى اليمين) في القرن الرابع عشر. كانت الأصباغ تصنع من النباتات، وتخلط بالمواد الكيميائية مثل الملح والشبة لتثبيتها.

كان أجداد السلاطين العثمانيين من البدو محاربين ورعاة، يجولون في أنحاء الأراضي العشبية الجافة وسط آسيا قبل أن يستقروا في تركيا بقطعان أغنامهم ومعزهم. وبينما كان الرجال من البدو الأتراك يصطادون ويحاربون ويرعون حيواناتهم، كانت زوجاتهم وبناتهم يغزلن صوف الأغنام وشعر المعز لصناعة الغزل، وحياكة القماش لصنع الخيام، والخُرج الخاصة بالدواب والملابس اللازمة لأفراد عوائلهن. واكتشف بعضهن كيفية صناعة الأصباغ من النباتات البرية، وكانت النساء التركيَّات مثل غيرهن من نسوة البدو في البقاع الأخرى من الأراضي المسلمة، يصنعن السجاجيد والبُسُط.

نشأت السجاجيد كأغطية لأرضية الخيام، وكانت تتسم بنعومة ملمسها وقدرتها على منح الدفء وسهولة طيها (وهو عمل النساء في الغالب) عندما تغير عائلة البدوي مكان الخيمة، وكان السجاد كذلك وسيلة لإظهار ثراء العائلة.

وسرعان ما ارتحل التجار من المدن لشراء السجاد الذي يصنعه البدو، وهكذا بدأت صناعة مربحة ومفيدة.

وكانت أفضل السجاجيد المزخرفة بالألوان الزاهية والمصنوعة من الوبر اللامع الناعم تتميز بأثمانها الباهظة؛ فقد كانت تباع للموسرين من رعايا الإمبراطورية العثمانية بمبالغ طائلة. وعليه، فقد فرشت أو غُطيت أرضية قصر السلطان سليمان بسجاجيد بديعة، كان أكثرها تصميمات عثمانية خاصة.

وقد استخدم السجاد كذلك لتغطية أرضيات المساجد؛ كدلالة على الاحترام، والاهتمام بفرش الأرضيات في بيت **الله**.

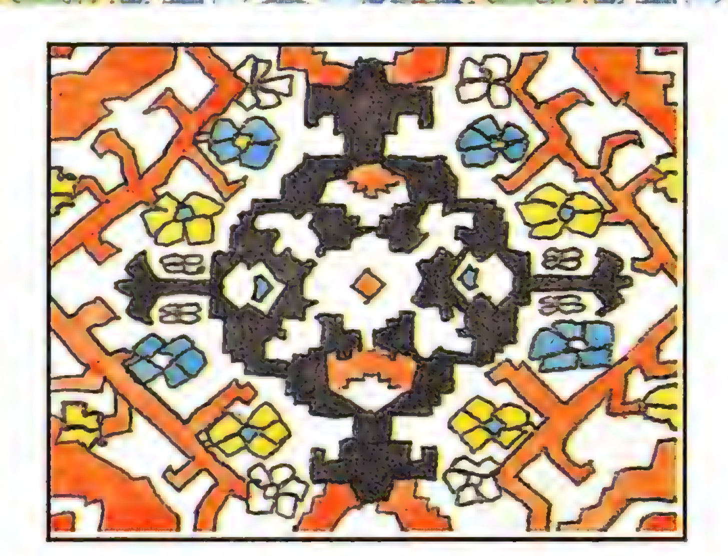


كان النساء والأطفال هم من يتلقون تدريبًا على صناعة السجاد؛ لأن أيديهم الصغيرة قادرة على ربط عقد الأصابع.

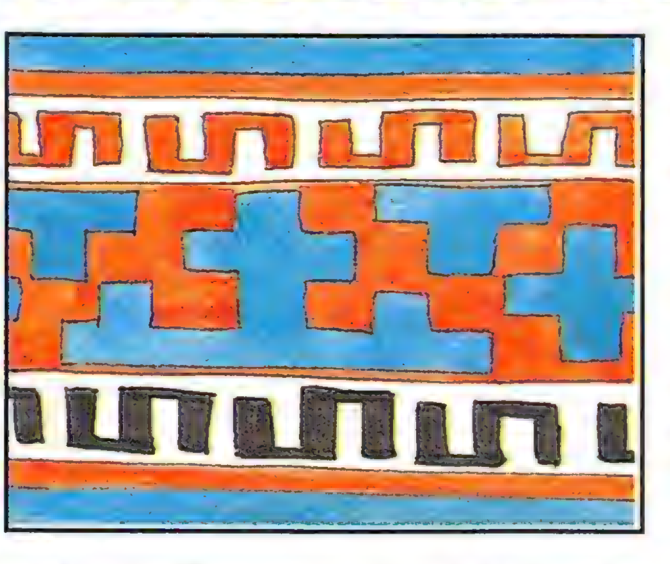
كان السجاد ينسج من خيوط الصوف أو القطن أو الحرير.

وفي الأسفل: أدوات صانعي السجاد (1) سكاكين لقطع العقد (2) مُشط لضغط العقد، مع بعضها البعض. (3) مقص لتشذيب الوبر.

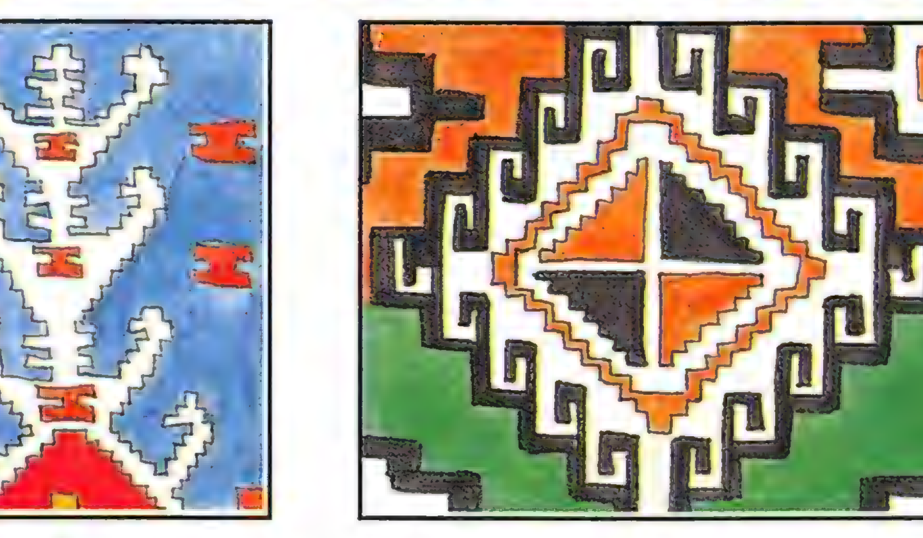




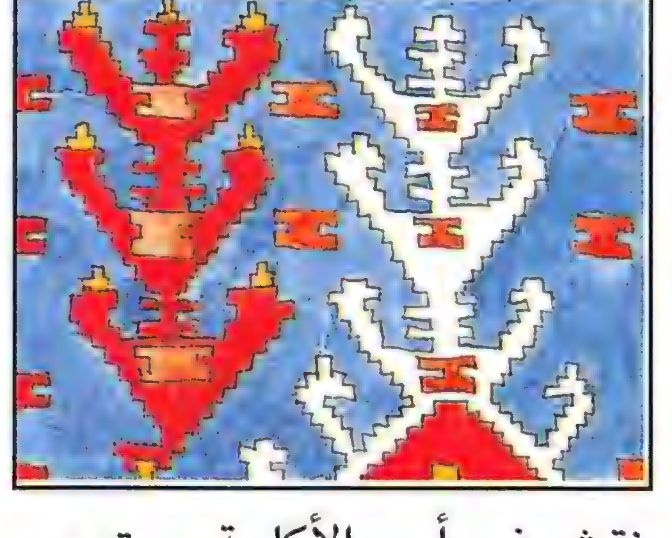
بدأت التصميمات الزهرية في البلاط العثماني، ثم انتشرت بعد ذلك على نطاق واسع.



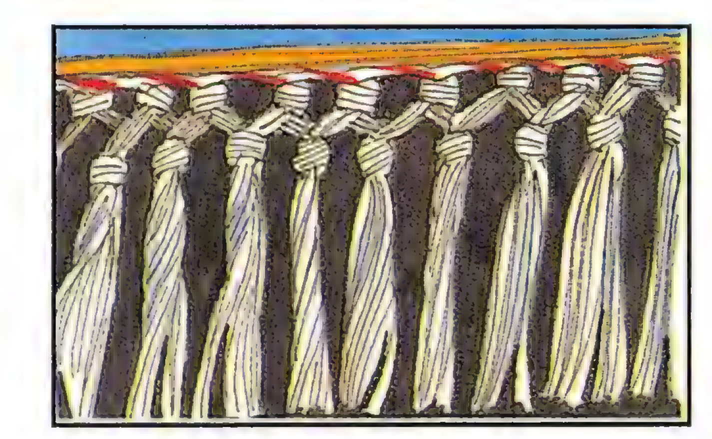
يعد النقش الخطي -كما يظهر في هذا الكليم - نوعًا من السجاد أبسط وأرخص من غيره.



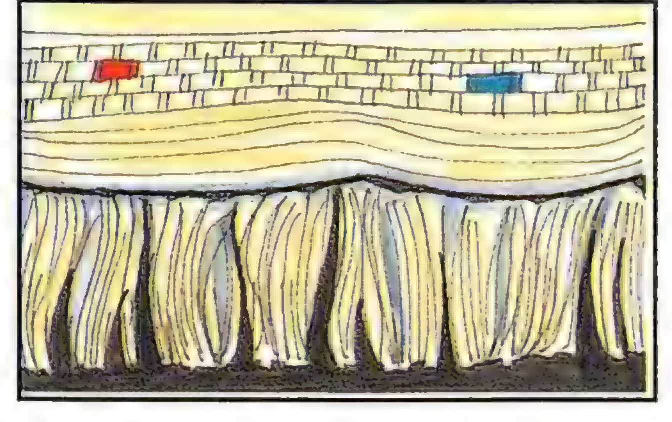
نقش السجادة من القرن السادس عشر مستوحى من زهرة (جَل باللغة التركية).



نقش في أحد الأكلمة مستوحى من النباتات والأشجار.



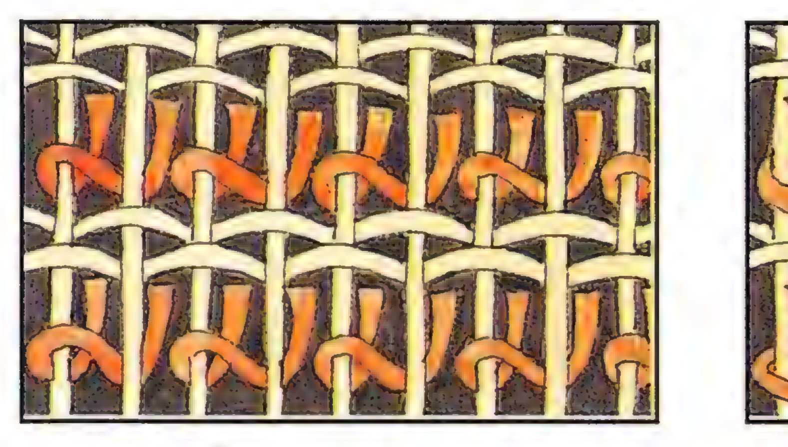
تتزين معظم السجاجيد بأهداب من أطرافها.



كانت هذه الحواشي أو الأهداب تصنع بعقد الخيوط الممتدة معًا.



كانت العقدة الفارسية تستعمل في إيران ووسط آسيا والصين.



أما العقدة الغيوردية أو التركية فكانت تستخدم في أغلب السجاجيد التركية.



كان التجار (يمينًا) يبيعون السجاد في مدينة إسطنبول المزدحمة. وكانت السجاجيد التركية والفارسية معروفة بقيمتها وأثمانها المرتفعة في أنحاء العالم.

اتخذ العديد من السجاجيد شكل «سجادة الصلاة» (في الأسفل) بتصميم يعرض لشكل المحراب، وهي التي يصلي عليها المسلمون في صلواتهم اليومية.



الضوء واللون



نافخو الزجاج أثناء تأدية عملهم في القسطنطينية في القرن السادس عشر، وهم يعملون بجانب فرن يحتوي على زجاج ذائب مسخن إلى درجة الاحمرار. ويلتقط كل نافخ نقطة من الزجاج الذائب في طرف أنبوب معدني طويل ثم ينفخ بقوة، صانعًا فقاعة صغيرة من الزجاج. وعندما يبرد الزجاج، يتجمد على نفس الشكل الذي نفخ عليه. وكان الزجاج المصنوع بهذه الطريقة شيئًا ثمينًا، يستخدم في صناعة المصابيح والأباريق ونوافذ المساجد.

آنية أنيقة من مدينة إزنك (بالأسفل) تم إنتاجها في تركيا العثمانية: (1) مزهرية (2) طبق (3) مصباح مسجد. يحمل هذا المصباح وعاءً صغيرًا به فتيل كي يستخدم في إشعال الزيت. وهو يحتاج إلى تشذيبه بانتظام لإيقاف انبعاث الدخان المتصاعد منه.

1 2 3

زوّد «سنان» الأسقف المقببة لمساجده بنوافذ كثيرة؛ كي يسطع ضوء النهار على المصلين أثناء تأديتهم الصلاة، وكأنه رحمة الله تتنزَّل عليهم. لكن في بعض فصول السنة، خاصة بعد غروب الشمس لم يكن الضوء الطبيعي يكفي؛ لذا كانت مصابيح الزيت تعلق في أسقف المساجد باستخدام سلاسل معدنية، وتم تعيين «مشعلي المصابيح» لملئها بالزيت بصفة دائمة. وبنى سنان شرفة خارجية خاصة تحيط بالقبة في المسجد السليماني، حتى يتمكن مشعلو المصابيح من الوصول إلى المئات المتدلية منها، وعادة كانت تصنع أرقى مصابيح المساجد من الزجاج أو البلور المزخرف بآيات القرآن، ولكن الأمر اقتصر على المساجد الفخمة فقط التي يستطيع القائمون عليها تحمُّل تلك التكلفة. أما أغلبها فكانت تنيره مصابيح مصنوعة من الفخار، وهي التي كانت تمدها بالضوء لكنها لاتتميز بسمات جمالية. على أنه في القرن السادس عشر، بدأ الفخاريون يصنعون مصابيح أنيقة من الخزف.



كان كل من صانعي الزجاج وعمال تشكيل المعادن يتعاونون معًا لإنتاج نوافذ الزجاج الملون، وكان عمال تشكيل المعادن يصنعون أقفالاً ومفصلات من البرونز لأبواب المساجد. وقد نفذ زجاج نوافذ المسجد السليماني إبراهيم صرحوش، وكان عمل إبراهيم متقنًا إلى حد أن كافأه السلطان سليمان. الجدير بالذكر أن كثيرًا من نوافذ المساجد مزدوج، فالزجاج الرقيق من الداخل يحميه حاجز زجاجي آخر.

فن تشكيل المعادن الإسلامي (على اليمين). والموصل (إحدى مدن العراق) أفضل مدينة تقوم بتشكيل المعادن، وكانت مثل هذه الأشياء تعد ثروة في البلاط الملكي العثماني بين عامي 1200 و 1500.

(1) مبخرة نحاسية مزينة بزخارف ونقوش.

(2) إبريق على شكل حيوان.

(3) شمعدان نحاسي؛ وقد كانت الشموع تستخدم أيضًا في إضاءة المساجد.

عمال تشكيل الزجاج (في الأعلى) يصنعون نوافذ من الزجاج الملون لأحد المساجد، وتلصق قطع الزجاج الصغيرة بجوار بعضها البعض باستخدام قطع من الرصاص.

البضائع اليدوية الرخيصة (بالأسفل) كالسلال وقدور الطهي كانت تباع في الحوانيت بالقرب من المسجد السليماني.

المسئولون عن بناء المسجد



الرجال المسئولون عن اتخاذ قرار إنشاء مسجد جديد هم:
(1) القاضي.
(2) أحد علماء الدين.
(3) أحد كبار رجال المجتمع.
(4) الإمام.
(5) معماري.
(6) متبرع ثري.

كان السلاطين العثمانيون يهبون الأموال لبناء الكثير من المساجد الأنيقة في مختلف أنحاء إمبراطوريتهم. وكان السلطان سليمان الثاني مشغوفًا بالعمارة. وكان قد كلف أعوانه بتنفيذ مشروعات كبرى في مكة المكرمة والقدس الشريفة حتى من قبل أن يوظف «سنان» في القسطنطينية.

العمل

بنيت المساجد في العواصم (كالمسجد السليماني) أو حتى في القرى البعيدة كانت تتحول إلى مراكز للمجتمع المحلي. وبالإضافة لكونها أماكن خاصة بالعبادة، فقد كان الأصحاب والجيران يلتقون فيها على الأقل مرة كل أسبوع حيث يعمل الكثيرون.

وكان كبار رجال المجتمع دائمًا يناقشون القضايا المحلية في نهاية صلاة الجمعة، وربما طلبوا مشورة الإمام، أما إذا اشتمل الأمر على تعقيدات قانونية فربما طلبوا أيضًا مشورة القاضي. حتى في الإمبراطورية العثمانية التي كان بها نظام قانوني قوي كانت الشريعة الإسلامية هي المطبقة؛ فقد نظمت حياة الناس الخاصة من تربية الأطفال والأمور الأسرية، كما نظمت الشئون العامة. وفي كثير من أنحاء الإمبراطورية، أسهمت العادات والتقاليد المحلية في تشكيل أسلوب حياة المجتمع.

وكغيرها من البنايات، كانت المساجد تحظى بالعناية التي تشمل عمليات التنظيف والإصلاح، ويقوم بها فريق من عمال النظافة، كما كان المعلمون والكتبة يلتحقون بالمسجد.



والمتفقهون في الشريعة الإسلامية جماعة يكنُّ لها المجتمع الاحترام والتقدير، وتعرف بجماعة العلماء. وفي عهد السلطان سليمان لعب هؤلاء العلماء دورًا مهمًّا في الحكومة والتعليم.

بجوار المساجد الكبيرة كانت تبنى المدارس. وهناك كان المعلمون يدرسون للتلاميذ علوم القرآن والشريعة الإسلامية، وأسس الرياضيات والطب والفلسفة.

يذهب المسلمون إلى مسجد مدينتهم الكبير كل أسبوع لأداء صلاة الجمعة. وربما التقوا به أيضًا خلال الأسبوع لتدارس القرآن أو للاستماع إلى التواشيح، وفي كثير من البلدان تصلي النساء في البيت.

أما إذا سمحت تقاليد المجتمع المحلي للنساء بالذهاب إلى المسجد فإنهن يجلسن بمعزل عن الرجال احترامًا لهن، إما في مكان خاص بهن وإما خلف حاجز من الستائر، وبعد أداء الصلاة يجلس الجميع للاستماع إلى الخطبة التي يلقيها الإمام، والتي تستمد أسسها من القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ.

توظف المساجد عددًا كبيرًا من العمال لكنس الأرضيات، وملء المصابيح بالزيت، وتنفيذ عمليات الإصلاح والصيانة.



المؤذن يدعو المسلمين للصلاة، وفي صلاة الفجر يذكرهم بأن «الصلاة خير من النوم».



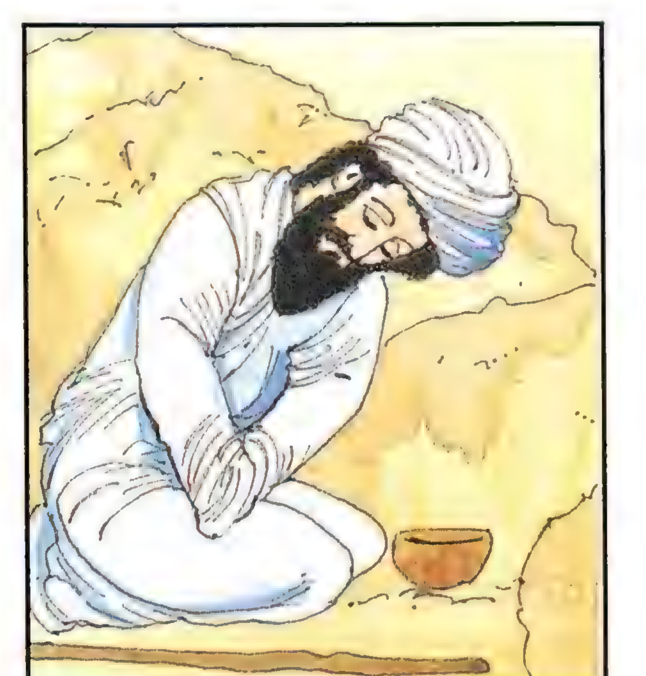
المدارس والكليات

كان الغلمان الصغار يذهبون إلى الكتّاب التابع للمسجد السليماني؛ حيث يتعلمون مبادئ الإسلام ويحفظون بعض سور القرآن (يحفظون – طبعًا – باللغة العربية، لا التركية). وكان الأمر يتطلب أيضًا أن يتعلموا المعنى بلغتهم وكان المعلمون يأملون أن يتذكر الطلاب هذه السور الشريفة طيلة حياتهم؛ كي تعاونهم على الحياة كمسلمين صالحين. وكان حفظ القرآن يسيرًا عليهم، ويجدون له حلاوة.

وكان على النابهين من هؤلاء الصغار تعلم القراءة والكتابة باللغة العربية؛ حتى يتيسر لهم دراسة علوم القرآن وأمهات الكتب التي كتبها كبار علماء المسلمين، وكانوا يتعلمون أيضًا القراءة والكتابة بلغتهم الأم، ولو أثبت الطالب نبوغًا ملحوظًا، فربما يفوز بمكان في المدرسة (الكلية). وهناك يمكنه أن يدرس الفلسفة أو العلوم أو الطب أو القانون.

في الإمبراطورية العثمانية وجدت أربع درجات للتعليم المدرسي: فالطلاب المتخرجون في المراحل الدنيا يصبحون كتبة أو محامين أو موظفين حكوميين. أما الطلبة النابهون الذين تخرجوا في الدرجات العليا فيصبحون هم أنفسهم معلمين بالمدارس أو قضاة. وقد بنى سنان أفضل أربع مدارس في القسطنطينية بجوار المسجد السليماني الذي تحول إلى مركز عظيم لتلقي العلم.

ولم يكن الفتيات يذهبن إلى الكتاتيب أو المدارس عادة، بل كن يتلقين التعليم في البيت على أيدي آبائهن أو المعلمين الخصوصيين أو العبيد الذين نالوا حظًّا جيدًا من التعليم.

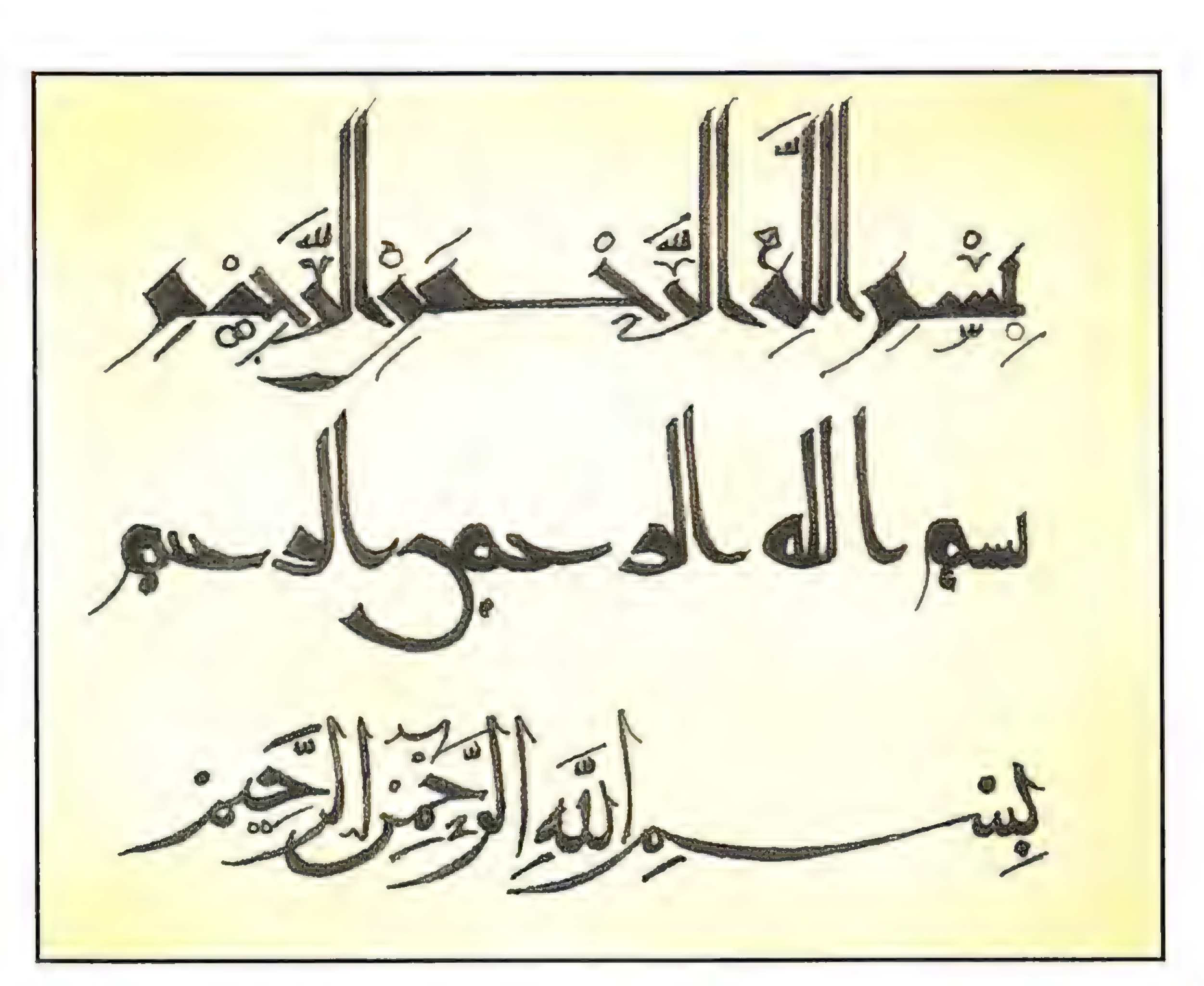


في بعض البلدان الإسلامية، ظهر بعض النساك ممن يُعرفون بالمتصوفة. وهؤلاء يقضون أوقاتهم إما في الصلاة أو في تدبر آيات القرآن.



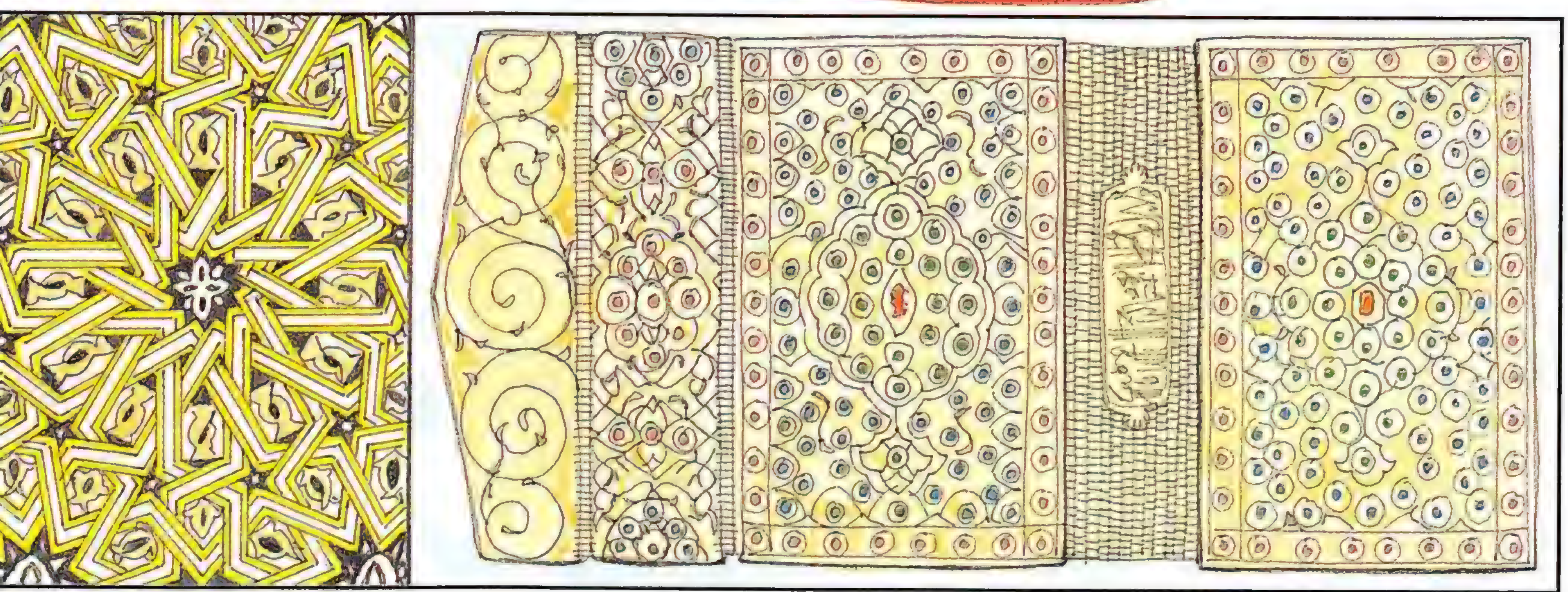


بعض الأطفال في تركيا في القرن السادس عشر (بالأعلى) يحملون القرآن ويطوفون بالشوارع جامعين الصدقات.



كلام الله: (يسارًا) «بسم الله الرحمن الرحيم» مكتوبة بثلاثة خطوط عربية مختلفة.

الكاتب المسلم (يمينًا) جالسًا إلى مكتبه.. من إحدى المخطوطات التركية التي تنتمي للقرن السادس عشر. وهو يعمل جالسًا على الأرض، مستخدمًا أقلامًا عبارة عن فرشاة أو قصبة من البوص وحبرًا مصنوعًا من الخل والسناج. ولديه مقص لقطع الرق الذي يكتب عليه وسكين لكشط أي أخطاء.



عــدد مــن الأوراق الأخــيرة المزخرفة (أقصى اليمين) الخاصة بأحد المصاحف. ولأن القرآن هـو كـلام الله، فقـد عني المسلمون بالمصاحف وحرصوا على أن تكون جميلة بقدر الإمكان.

غـلاف مـن الذهب المطعم بالجواهر (يمينًا) صنع خصيصًا لأحد المصاحف التي كانت تقرأ في بلاط السلطان سليمان الثاني. وقد حرص المسلمون منذ القدم على تغليف المصاحف بأغلفة خاصة تتناسب مع مكانتها لديهم.



الطب وأعمال البر

تعتبر الزكاة وتوزيع الصدقات فرض على كل مسلم قادر على ذلك، فالأفراد من الرجال والنساء ينفقون بسخاء وكذلك كانت المجتمعات المحلية تجمع الزكاة في شكل ضرائب وهو ما كان يُعرف بالخَراج. وعادة ما كانت مبالغ الخراج عبارة عن نسبة بسيطة من أموال الفرد المستحق عليها الزكاة (ربع العشر). وكان الحكام من أمثال السلطان سليمان من الموسرين بحيث يمكنهم الإنفاق على المساجد، يدفعون جزءًا من زكاتهم لصيانة مبانيها الجديدة، كما تضمنت عطايا السلطان سليمان إنشاء المزارع والحوانيت وبناء الاستراحات بطول طرق الحج، بل بلغ الأمر حد تشييد قرى كاملة. وكانت كل تلك المخصصات تؤجر؛ وبذلك وفرت دخلاً وُقف على صيانة المسجد وعلى دفع أجور العمال من العاملين فيه، كما وُقف للإنفاق على الكتَّاب والمدارس الأربع وجميع المباني الملحقة بالمسجد التي تقدم خدماتها للمجتمع.

وكان أهم تلك المباني مستشفى واستراحة للمسافرين ومطعمًا مجانيًا يبلغ طوله اثنين وثلاثين مترًا وعرضه ثمانية أمتار، ويوفر الطعام لطلاب المدارس ولمئات من المواطنين الفقراء. ووجدت كذلك الحمامات العامة والملاعب الرياضية، ومدرسة الطب الرائدة بالإمبراطورية العثمانية، والتي كان يتلقى فيها الأطباء تدريبهم.

طبقت شهرة علماء المسلمين آفاق العالم حتى بلدان أوروبا والصين حيث يعتنق الناس أديانًا أخرى. وتميز علماء الفلك والجغرافيا وأطباء المسلمين بمهارة خاصة، واشتمل كثير من المساجد على مكتبات أنيقة زاخرة بالكتب التي تتناول مختلف الموضوعات.

كان المسجد الكبير يشتمل عادة على عدة مبانٍ مختلفة ملحقة به، تعمل جميعها على تلبية احتياجات المجتمع المسلم.

وكانت الأموال اللازمة لبناء وصيانة المساجد تُدبر من العطايا التي يبذلها أثرياء المسلمين.



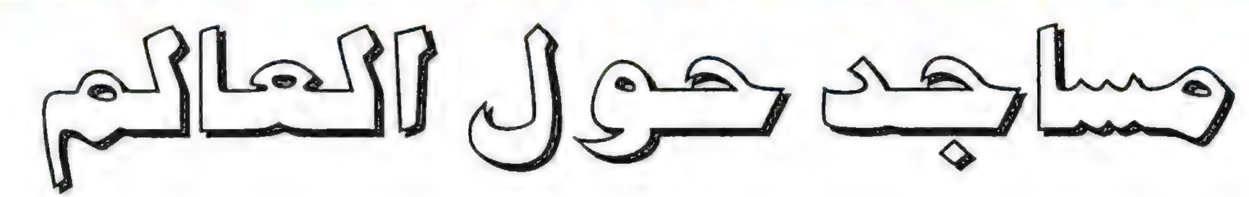
يوضح هذا المخطوط المصور الذي يعود للقرن السادس عشر (يسارًا) علماء الفلك في المرصد العثماني الملكي.

هذا الأسطرلاب(*) (في الأسفل) كان يستخدم لقياس مواقع النجوم، صنع حوالي عام 850 م.

(*) آلة فلكية قديمة لقياس ارتفاع الشمس أو النجوم.

خريطة للعالم (في الأعلى) رسمها الإدريسي – وهو واحد من أعظم علماء الجغرافيا المسلمين – عام 1154 م. وكانت تلك الخريطة متقدمة بمراحل عن أفكار وتصورات الأوربيين عن العالم في ذلك الوقت، فقد توصل المستكشفون المسلمون إلى اكتشافات جغرافية قيمة خلال رحلاتهم.

رسم تخطيطي للجهاز الهضمي للإنسان (يسارًا) رسمه طبيب مسلم في القرن السابع عشر.



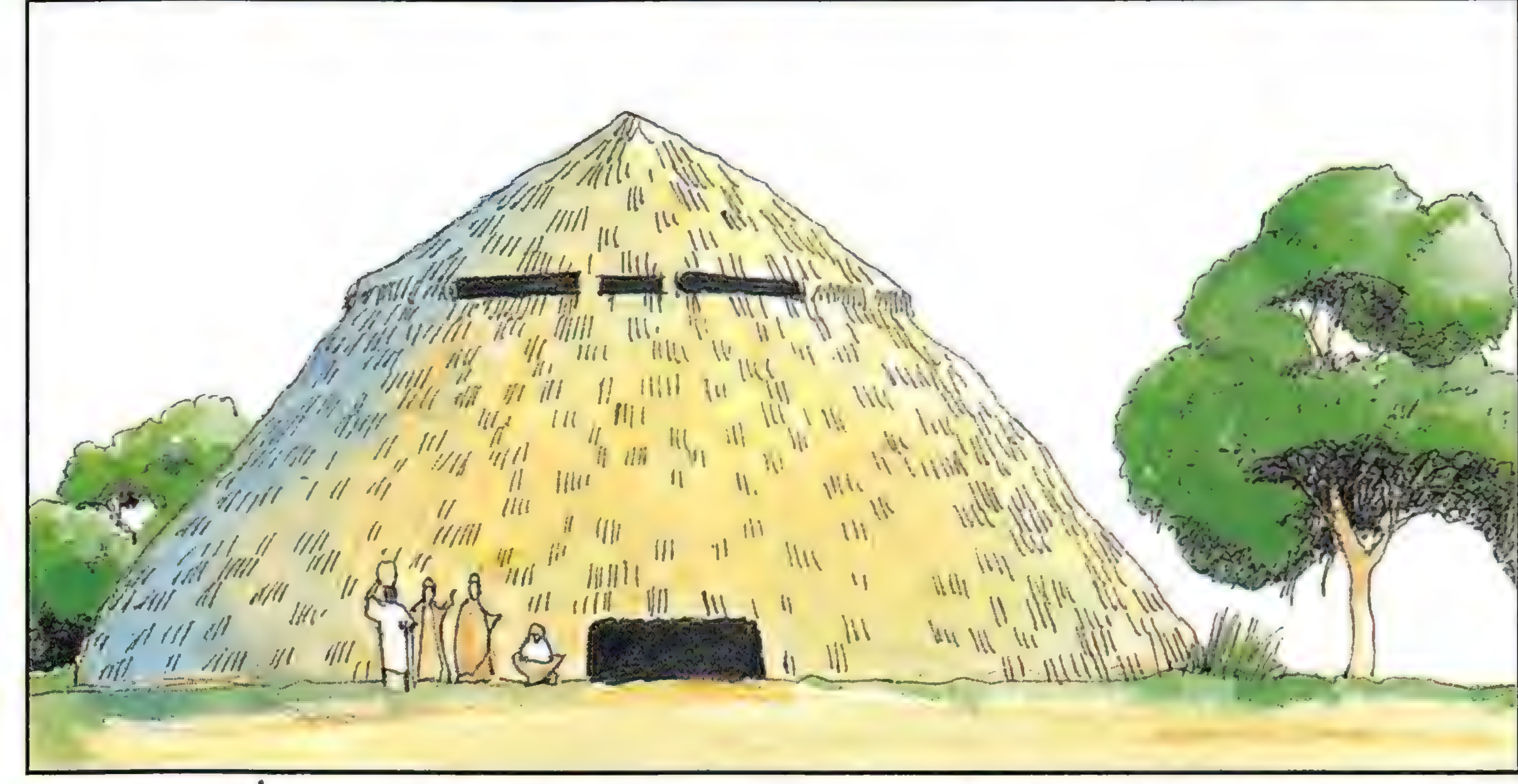
رأينا في هذا الكتاب كيف تطورت المساجد من مجرد بنايات صغيرة بسيطة إلى بنايات مهمة وعظيمة، ذات شأن عبر القرون التي تلت وفاة النبي (ﷺ) عام 632 م. ورأينا أيضًا كيف أن المساجد صممت وأنشئت في إحدى البقاع الإسلامية –الإمبراطورية العثمانية– وقد مزجت بين الأطرزة الفنية المحلية المتوارثة وميراث البنايات المسيحية التي تبقت من القرون السابقة.

مسجد بمدينة تمبكتو بمالي (في الأعلى) وهي إحدى مدن العصور الوسطى المهمة. وقد بني من قوالب الصلصال على الطراز السائد في غرب إفريقيا.

مسجد من جنوب غرب الصين (يسارًا) شيد بأسقف منحدرة مقوسة، مثل الهياكل والمعابد الصينية التقليدية.

جامع محمد علي (يمينًا) في القاهرة «العاصمة المصرية» بني فيما بين عامي 1824 و 1857 م. ويعرف أحيانًا بجامع المرمر.

المسجد السليماني بإيدرين في تركيا (يسارًا)، والذي أنشأه سنان بين عامي 1569 و 1575م للسلطان سليم الثاني وهو يبدو عظيمًا ذا أبَّهة من الخارج، ومضيئًا أنيقًا فسيحًا من الداخل، وقد قال عنه سنان باشا إنه تحفته الفريدة، وأفضل ما قام به.



مسجد بغرب إفريقيا (في الأعلى) استخدمت في تسقيفه الحشائش والأعشاب.

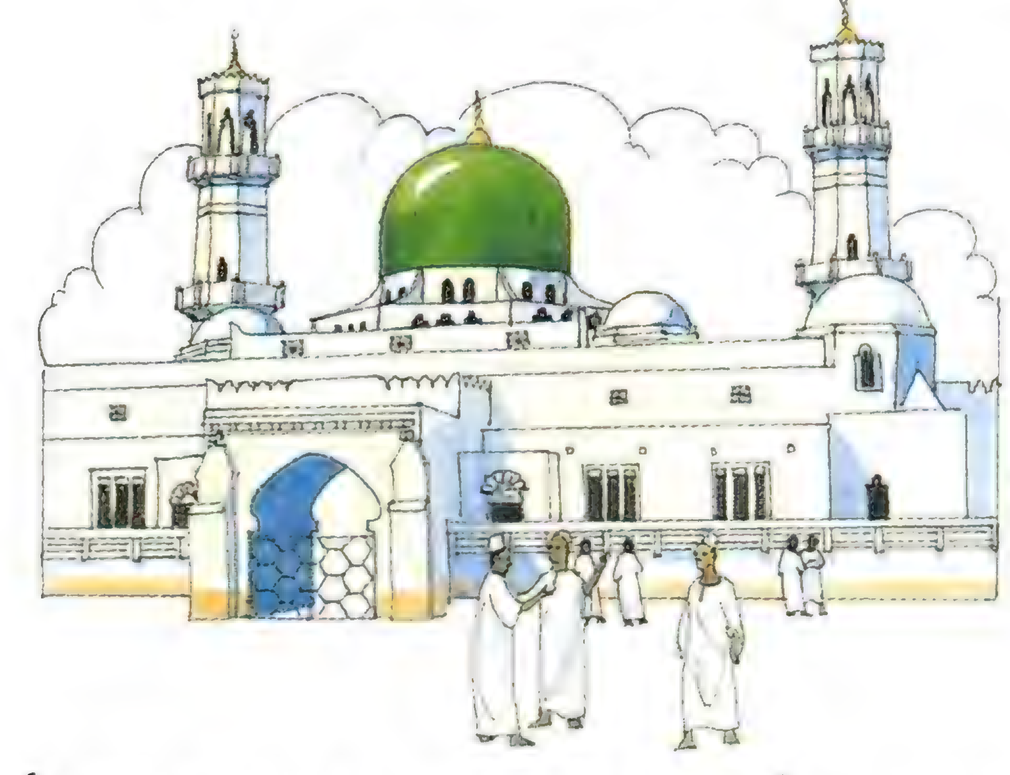


مسجد إندونيسي (يسارًا) شُيد باستخدام أعواد الخيزران وسعف النخيل.

لقد أثرت الأطرزة المعمارية للبنايات السائدة في كل مجتمع محلي على تصميم المسجد في كثير من البلدان الإسلامية الأخرى، من شمال إفريقيا حتى الشرق الأقصى. فكان المعماريون يستعينون بحرفيين تلقوا تدريبهم طبقًا للأساليب التقليدية المتبعة في بلدانهم.واستخدموا المواد الخام المتاحة في مجتمعاتهم المحلية كسعف النخيل والطوب اللِبن وأعواد الخيزران. ولاشك أن هذا العامل قد أثر على تصميم المسجد، سبيل المثال، لم يكن ممكنًا بأي حال من الأحوال تشييد الحوائط الشاهقة والأسقف المقببة في الأماكن التي تندر فيها الأحجار.



المسجد الكائن في ريجينيت بارك ـ بلندن (في الأعلى) شيد في الفترة ما بين عامي 1977 و 1980 م. وفي الوقت الحالي، يقيم المسلمون ويمارسون شعائرهم في معظم أنحاء العالم. ومن بين كل خمسة أشخاص على مستوى العالم يوجد مسلم واحد.



مسجد شُيد بدمج عدة أطرزة معمارية، في كانو بنيجيريا (في الأسفل) تشبه جدرانه الجدران المتعارف عليها في المباني بإفريقيا، أما القباب فيتضح فيها التأثير العثماني.

ومثلما فعل سنان، استخدم هؤلاء المعماريون المحليون الأشكال الزخرفية المتعارف عليها لزخرفة وتزيين مساجدهم.

وكان ثمة داع ديني آخر لبناء المساجد تبعًا للأطرزة المحلية لكل مجتمع؛ فالمسلم يرى أن تطبيق إيمانه بالممارسة العملية جزء أساسي من حياته اليومية. وبناء مسجد، يعكس تصميمه الطراز المتعارف عليه في كل مجتمع محلي دليل على ذلك. فالمساجد التي صممت للسلاطين العثمانيين خلال القرن السادس عشر تثير الإعجاب باعتبارها من أعظم المساجد على مستوى العالم.

لكن آلاف المساجد التي لا تقل روعةً عنها قد بنيت منذ ذلك الحين في كثير من البلدان الإسلامية.

مسجد الملك الحسن الثاني في المغرب (يمينًا) في الدار البيضاء، شُيد من الرخام الوردي، وهو ضخم بحيث يتسع لـ 100 ألف مصلٍّ.

المصطلحات

الإبريق: إناء بسدادة.

الأتون: موقد يملأ بالخشب أو الفحم.

إزنك: مدينة في تركيا مشهورة بإنتاجها البديع من الخزف، حيث يعيش بها أمهر العاملين بهذه المهنة، ويشتهر فنهم بكثرة النقوش.

الإسلام: الإيمان بالله الواحد الأحد، وأنه لا وسيط بين البشر والله.

الإمام: إمام الصلاة. إنسان يحظى بقدر كبير من الاحترام يختار بين أفراد المجتمع المسلم ليؤم المصلين في الصلوات الخمس وصلاة الجمعة. كما يعظ المسلمين. وعلى عكس القسيس، فالإمام لا يرسَّم (لا يبارك وتضفى عليه القدسية).

الإنكشارية: جنود في الجيش العثماني. تربوا من صغرهم تحت نظام الدوشيرمة، وتلقوا تدريبًا حسنًا، وكانوا يحظون بقدر كبير من الاحترام وكان سنان باشا واحدًا منهم قبل أن يصبح معماريًّا.

البخور:مادة شمعية أو مسحوق، وتحرق لتصنع سحبًا ذات رائحة عبقة.

البرونز:معدن بني مشوب بصفرة، يصنع بخلط النحاس مع القصدير.

بيزنطة:عاصمة بالإمبراطورية البيزنطية، والاسم الإغريقي القديم لها هو القسطنطينية والآن إسطنبول.

التقويم الهجري: يستخدم لحساب السنين حسب التقويم الإسلامي، والذي توافق السنة الأولى منه سنة 622 م..

الحج:رحلة يقوم بها الفرد المسلم، مرة واحدة في العمر (حسب قدرته المادية وظروفه الصحية) لأسباب دينية تقربًا إلى الله وإظهارًا للطاعة.

الخزف: يصنع من الفخار (الصلصال الموضوع في النار).

الخط: كتابة جميلة، اشتهر الخطاطون المسلمون بها على مستوى العالم.

الخليفة: أقوى حاكم في العالم الإسلامي.وهو أيضًا المسئول عن حماية العقيدة الإسلامية.

الدعامة / الكتف: حائط أو مجموعة من الحجارة أو الطوب تبنَى أمام جزء آخر من مبنًى لتدعمه.

الدكة:مسطح مرتفع في المسجد، كان القارئ يقف عليه ليكرر ما يقوله الإمام حتى يسمع من يجلسون في آخر الصفوف.

الدوشيرمة: نظام كان الأتراك – بناءً عليه – يأخذون الأطفال الصغار ويعلمونهم ليصبحوا جنودًا عثمانيين أو عبيدًا.

الديوان: اجتماع يعقد في مجلس الحاكم.

الشبة: حجر، مسحوق كيميائي، عندما يمزج مع الصبغة يجعل الألوان ثابتة.

الشكل التجريدي: رسم يعتمد على الخطوط و الأشكال البسيطة، والتي لا تصور أي إنسان أو حيوان أو نبات أو جماد.

الصيام: هو الامتناع عن الطعام والشراب وأية شهوة أخرى إظهارًا لإخلاص الطاعة لله. وذلك من الفجر حتى غروب الشمس خلال شهر رمضان (تاسع شهر في السنة الهجرية)كاملاً.

العثمانيون: العائلة الحاكمة في تركيا، وما حولها من أراض بداية من القرن الخامس عشر الميلادي حتى أوائل القرن العشرين.

الفارسي: كل ما ينسب إلى بلاد فارس التى تعرف حاليًا باسم إيران.

الفسيفساء:صورة أو شكل، يصمم باستخدام قطع صغيرة متعددة الألوان من الزجاج، أو القرميد أو الحجارة.

الفلك: علم دراسة النجوم والكواكب.

الكرسي: لفظ يطلق على الحامل الذي يوضع عليه المصحف الشريف.

الكليم: أحد أشكال البُسُط، صنع في تركيا وآسيا الوسطى، ويختلف عن السجاد في أنه ليس له وبر ناعم.

المحراب: قبو في حائط المسجد يوضح اتجاه القبلة.

المدرسة:مكان يلحق بمسجد، حيث كان الطلبة المتميزون يرسلون إليها ليكملوا تعليمهم.

المشكاة: (كوة) مكان مجوف في الحائط.

المماليك: حكام مصر في فترة من الفترات، أصولهم عبيد، أتراك، صارت لهم قوة كبيرة، وانتهى بهم الأمر إلى أن حكموا مصر.

المنارة/ المئذنة: جزء من المسجد على شكل برج مرتفع، به سلالم؛ ليصعد المؤذن إلى قمته حتى يرفع الأذان للصلاة.

المنبر:منصة مرتفعة فى المسجد، يصل إليها الإمام عند طريق درجات سلم ليقف ويخطب في المسلمين خطبة الجمعة.

النُزُل:مكان يهتم بالمرضى والمسافرين.

الهجرة: هي رحلة رسول الله من مكة إلى المدينة والتى توافق سنة 622 م، وذلك من أجل تأسيس أول مجتمع مسلم.

تواريخ في هذا الكتاب

تحسب التواريخ في كثير من البلدان الأوربية باستخدام تقويم يحسب الوقت من مولد نبي الله السيد المسيح عليه السلام و الذي يشار إليه بلفظ ميلادي أو (م) اختصارًا. أما قبل السيد المسيح فيشار إليه بقبل الميلاد، ويعرف اختصارًا بـ (ق.م)

أما التقويم الإسلامي الذي يستخدمه المسلمون في جميع أنحاء العالم فيستخدم مقياسًا مختلفًا لا يزال يحمل مغزاه الديني، فقد بدأ التقويم الإسلامي مع بداية هجرة رسول الله من مكة الى المدينة ليؤسس أول مجتمع مسلم. (للمزيد، راجع صفحة 6–7) وتوافق أول سنة هجرية سنة 622 ميلادية.

هناك اختلاف جوهري بين التقويمين، فالتقويم الميلادي وقبل الميلادي يعتمد على الشمس، وعدد الأيام هو 365 في السنة البسيطة أو 366 في السنة الكبيسة، بينما تعتمد السنة في التقويم الإسلامي على القمر، وتشتمل على 354 يومًا. ممًا يجعل عملية التحويل من الهجري الى الميلادي صعبة إلى حد ما.

في هذا الكتاب استخدمنا التاريخ الميلادي وقبل الميلادي، لكننا نقدم هنا بعض أهم الأحداث محولة إلى التاريخ الهجري.

622 م/1 هـ	الهجرة.
632 م/10 هـ	وفاة رسول الله (ﷺ).
1453م/857 هـ	سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين.
1491 م/896 هـ	مولد سنان باشا.
1494 م/899 هـ	مولد السلطان سليمان الثاني.
1520 م/ 926 هـ	سليمان يصبح سلطانًا.
1566 م/974 هـ	وفاة سليمان.
1577 م/985 هـ	اكتمال بناء مسجد سليمان.
1588 م/997 هـ	وفاة المعماري سنان باشا.

الكشاف